16 em Année No. 796

Lundi — 4 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٦ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مصرع برنادوت ...

للأستاذ نقولا الحـــداد

لو كانت الرصاصة التى صرعت برنادوت عربية لقل العجب ، لأنه كان مع اليهود على العرب . ولـكن حاشا للعربى أن يغدر . حاشا للعربى أن يقتل من لا يهاجمه . حاشا للعربى أن يقتل أعزل أو شيخاً أو طفلا أو امرأة . لا يمـكن العربى أن يقتل برنادوت حتى ولو كان يهودياً !

كان العرب يحمون برنادوت وهو فى ديارهم ، ولقـد كان النقراشى باشا يبث العيون من حوله لوقايته من غدر اليهود الخونة وهو فى مصر .

برنادوت خدم اليهود : أيد التقسيم وغض النظر عن السلاح الذى كان يهرب إلى تل أبيب ، وغض النظر عن المهاجرين اليهود الذين كانوا يتسربون إلى فلسطين ، وغض النظر مئة مرة عن خرق اليهود للهدنة !

رحمه الله ! حابى اليهود كثيراً ! ولـكن اليهود كانوا يريدون أن يكتب فى تقريره بأن كل فلسطين وشرق الأردن هما حق حلال لليهود ! فلم يكتب هـكذا فقتلوه !

كان يريد بجريد بيت القدس من السـلاح ، وهم يريدونه عاصمة دولة إسرائيل فقتلوه ! كانوا يريدون مرفأ حيفا مفتوحاً على مصراعيه ، وهو يريد إقفاله ريثما تسوى مسألة فلسطين فقتلوه! كانوا يحرمون عليه أن يبعث بتقرير عن نقضهم للهدنة إلى مجلس الأمن ، فلم يستطع أن يمتنع فقتلوه ! كانوا يريدون أن يخرج من فلسطين على الإطلاق ، فلم يجرؤ أن يترك المهمة التى انتدب لها فاغتالوه ! لـماذا ؟ لأنه لم يكن يستطيع أن يملـكهم كل فلسطين ! ما كان يجوز أن يفعله العرب ببرنادوت لأنه أوثقهم بالحبال والحديد فعله اليهود !

إن هؤلاء الأوغاد لم يعودوا يقنعون بحصة من فلسطين ، بل صاروا يطمعون فيها كلها وبشرق الأردن معها وبسائر بلاد العرب كلها . فلما مرت طائرة عربية من لبنان إلى عمان تعقبوها وأسقطوها على الرغم من أن قائدها أبلغهم باللاسلـكى أنه ينقل ركاباً مدنيين ، وكان بظنهم من رجال هيئة الأمم الرقباء قد أخطأوا فحاول أن يصحح خطأهم ، ولـكنهم كانوا أرذالا يقصدون الشر مجاناً . فحطموا الطيارة وذهب ضحيتها صحفيان ، ولا ندرى ما ذا يكون حكم الصحف التى يمثلانها ؟!

لقد ثبت أن تقرير برنادوت كان أصلح لليهود من قرار التقسيم ولـكن اليهود توقحوا فلم يعودوا يقنعون بتقسيم فلسطين ، وإنما يطمعون فى كل موضع يحتلونه ، وخاصة بعد ما رأوا أن الدولة الثعلبية العظمى قد انقلبت من الحياد المـاكر إلى جانب التقسيم الصريح ، فقوى ظهرهم حتى فى مصر ، فصار النعاج منهم ذئاباً ! ذلك أن إرهابيين تسللوا من صهيون إلى مصر وجعلوا يلقنون هؤلاء النعـاج المزرائيين دروس الإرهاب والخطف والغـدر

والتحدى ، فخطفوا ثلاثة من رجال البوليس وحبسوهم فى معبدهم بحارة اليهود . وجرؤ بعضهم وأطلقوا المسدسات على الحكمدار !

هذه جراءة لم نعهدها من جبناء اليهود الأنذال قبل اليوم !

فما ذا جد حتى صارت لهم هذه الجرأة والوقاحة ؟ !

لعل وحياً جاءهم من قصر شايو فى باريس أن دولة عزرائيل صارت سيدة دول الشرق فتنمروا وتمردوا !

وإذا كانوا الآن — ولا دولة لهم — يستفحل أمرهم وشرهم هذا الاستفحال ، فما ذا عسى أن يكون إن صارت لهم دولة — لا سمح الله — وصار لهم سفير فى مصر وقنصل وبنك ، وصار لهم حاضرة أنيقة على ظهر جبل المقطم ، وصارت موطن ملاه ولعب ورقص وشرب ونصب ، وكان فيها حسان يلعبن بقلوب الكهول والفتيان ، ويستخدمن نفوذ الأكابر والأعيان ، فإذا بلغوا هذا المبلغ ، فأى حال يكون حالهم ، وعلى أى شكل يتغطرسون ، وفى أى واد يهيمون ، وفى أى سماء يسبحون ، وقانا الله شر هذا الفجور !

ترى هل تقتص حكومتنا السنية من هؤلاء الأرذال المتحصنين فى حارة اليهود القذرة ؟ وتؤدب هؤلاء الأنذال وتقى المدينة شرهم وبقمع فتنتهم ، فهم على قلتهم وضعفهم قد أنشأوا شبه حكومة لهم فى حارتهم الحقيرة وأقاموا لهم فيها حرساً يمنع مرور الناس ، وإن غلط أحد المارة ودخل معقلهم الحقير (بهدلوه) واعتقلوه وضربوه وربما قتلوه ! !

وهم على ضعتهم أشعلوا ثورة كادت تنتشر كالنار فى الهشيم ، وهم مسلحون بالأسلحة الحديثة وبالقنابل والمتفجرات لا يهابون قانوناً ولا يخشون بوليساً ولا يوقرون حكومة !

فإذا كانت الحكومة لا تحرم عليهم صنع المتفجرات حتى على الصبيانية منها ، ولا تطرد الخطرين منهم ، كانوا خطراً على الأمن ومبعثاً للقلاقل فى البلاد !

نرجو ألا تغض الحكومة النظر عنهم كما غضت هيئة الأمم النظر عن قتلة برنادوت !

لقد قتل برنادوت ودفن جسمه واسمه ، ودفنت معه هيبة هيئة الأمم ، وأصبح خذلان مجلس الأمن أمراً واقعاً . وقد استمرأ اليهود سياسة الأمر الواقع ، وعادوا يفعلون ما يروق لهم ولا يحسبون حساباً للعواقب ، لأن الأمر الواقع ينفى كل عاقبة !

ولقد كان ذنبنا العظيم أننا لم نجنح إلى الأمر الواقع ولا عرفنا كيف نستفيد منه !

لو ألفنا حكومة عربية لفلسطين من أهل فلسطين منذ أعلنت انكلترا الثعلبة أنها ستلغى انتدابها فى أول مايو — لو ألفنا حينئذ الحكومة العربية ، وجعلنا مكانها فى مصر أو الشام أو بغداد كما فعلت بلجيكا وهولاندا ونروج فى الحرب الأخيرة من كان يمنعنا لو كان لفلسطين حكومة عربية — أيما كانت — من أن تحتل فلسطين فعلا حالما تركتها انكلترا ؟

إن اليهود فعلوا ما كان يجب أن نفعله ، كانوا كلما ترك الإنجليز موضعاً احتلوه هم ، ولو كانت حكومة فلسطين العربية الحرة قائمة لكانت أسبق إلى احتلال حيفا من اليهود .

نعتب على الإنكليز أنهم أخلوا حيفا لليهود ، فهل كانت حكومة فلسطين على استعداد لاحتلال حيفا ومنعها الإنكليز ؟

احتل اليهود كل مكان أخلاه الإنكليز ، ونحن لم نستطع أن نحمى نساءنا وأطفالنا ، ففتك بهم أولئك الذئاب ، وفر من استطاع أن يظفر بالسلامة ! فختام يا قوم نتبع سياسة التوانى ، ونعرض عن سياسة الفرصة السانحة ، والضربة السابقة ، والأمر الواقع ؟ !

نقولا الحداد

مصر والعـــالم

في القرن الثالث عشر الميلادي

للأستاذ عطيه الشيخ
المفتش بوزارة المعارف

كنانة الله :

أيهـا المصري الكريم ! إذا ادلهمت حولك الخطوب ، واكتنفتك المحن ، وطمع الانجليز في جنوب واديك ، وكشر الصهيونيون عن أنياب غدرهم في فلسطين ، ومالأت هيئة الأمم ظلم أعدائك وأهملت حقك ، فلا يهولنـك الأمر ولا ترع ، فمن قبل هـذه الأقوام كانت أمتك تحتضن الدهر وهو غلام ، وتعلم الشعوب وهم رعاع ، وتحمل مشعل العلم والمدنية والنـاس جميعاً في ظلام ، ثم قامت عروش ، وتـكونت دول ، وبادت أمم ، وتغيرت خرائط العالم مرات ومرات ، ومصر هي مصر ، كنانة الله في أرضه ، وجامعة المبادئ الفاضلة ، وملاذ الدنيات وقبلة العالمين . اقرأ إن شئت ما قامت به مصر في القرن الثالث عشر الميلادي وحده ، لتعلم كم لبلادك العزيزة من أياد على الناس أجمعين ، وأنها بحق كنانة الله في أرضه .

أمة تتحطم :

جاء القرن الثالث عشر الميلادي والخلافة العباسية في بغداد تحتضر ، ويقوم بالحكم الفعلي في أرضها « الأتابكة[1] » وهم أمراء سلاجقة ، تقسموا الدولة بعد موت ملك شاه سنة ١٠٩٢ ميلادية . هـذا في الشرق ، وأما في المغرب ، فكانت مدن الأندلس تتساقط تساقط أوراق الخريف أمام هجمات الأسـبان حتى سقطت « قرطبة » نفسها ١٢٣٦ م وكانت دولة الموحدين في الشمال الإفريقي قد آذنت بزوال ، كما كانت سواحل بـلاد الشام جميعها لا تزال في أيدي الصليبيين بعد أن استرد صلاح الدين الأيوبي مدنهم الداخلية ، أما في مصر فكان سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك يحكمون من القاهرة مملكة قوية ، تضم في معظم أيامها مصر ، والنوبة ، واليمن ، وبرقة ، وأكثر بلاد الشام وفلسطين ؛ ويمتد ملـكها من الأناضول شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً ، ومن الفرات شرقاً إلى تونس غرباً . وتعاقب على العرش في هذا القرن الملك العادل أخو صلاح الدين « ١١٩٨ — ١٢١٩ » ثم الصالح أيوب بن الـكامل « ١٢٣٨ — ١٢٤٩ » ثم شجرة الدر زوجة الصالح ، وابنه توران شاه « ١٢٣٩ — ١٢٥٠ » ثم انتهى سلطان الأيوبيين وورثهم المماليك « ١٢٥٠ — ١٥١٧ » وكانت مصر في هذا القرن أقوى أقطار الإسلام لاتساع مُلـكها ووفرة خيراتها ، وما انضوى تحت لوائها من ممالك وأمصار ، ولمـا في عنصر هذه الأمة الـكريمة من حيوية يشيب الدهر من حولها ولا تزال أبداً فتية ، ولأن حكامها آنذاك ، من أيوبيين ومماليك ، كانوا قواداً عسكريين ، قبل أن يكونوا ملوكاً حاكمين نبتوا في كنف المعارك ونشأوا تحت ظلال السيوف .

أخطار ثلاثة :

كان أعداء الإسلام في ذلك القرن ثلاثة : هم الصليبيون ، والمغول ، والحشاشون .

(١) الصليبيون : قضى المسلمون القرن الثاني عشر كله في جلاد مرير مع الصليبيين ، تزعمه عماد الدين زنـكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي ، وانتهى القرن الثاني عشر ومات صـــلاح الدين الأيوبي ١١٩٣ ، ولا يزال الصليبيون يملـكون سواحل الشام من أنطـاكية إلى غزّة ، وقد علمتهم حُروب صلاح الدين أنهم لا يستطيعون الاستقرار في بلاد الشام ما دام في مصر دولة قوية ، فوجهوا غزواتهم في القرن الثـالث عشر إلى مصر ليفتحوها بعد القضـاء عليها ، وبذلك يُؤمنون مملـكة أورشليم . وكانت أول حملة صليبية على مصر في هذا القرن « ١٢١٨ » بقيادة « جان دى برين » واستولوا على دمياط ، وأخذوا يزحفون على القاهرة ، فمات الملك العادل حزناً ، وترك أمر الدفاع لابنه الملك الـكامل الذي ورث البطولة عن أبيـه وعمه (صلاح الدين) ، فأقام الاستحكامات في المكان الذي سمى فيما بعد بالمنصورة ، وجاءته النجدات من اليمن والشام ، والمتطوعة من سائر البلاد الإسلامية ، وانتهز فرصة فيضـان النيل ، فقطع الجسور ، وأحاطت الميـاه بالصليبيين ، ورأوا استماتة المصريين

(١) الأتابكة : جمع أتابك . ومعناها في التركية الأمير الحاكم

فى الدفاع ، فطالبوا الصالح وانقلبوا خائبين سنة ١٢٢١ م .

وفى سنة ١٢٢٨ م . استطاع فردريك (أمبراطور ألمانيا وملك جنوب إيطاليا وزوج ابنة قائد الحملة السابقة جان دى برن) بحسن حيلته وبما اشتهر عنه من حب الإسلام والمسلمين ، استطاع أن يعقد مع الملك الكامل اتفاقاً على أن يعطى بيت المقدس بشرط أن يحتفظ المسلمون فيها بأماكنهم المقدسة ، وأن يساعد « فردريك » « الكامل » على أعدائه ، وأن يمنع النجدات الأوربية عن الإمارات الصليبية الباقية فى سواحل بلاد الشام ، كطرابلس ، وأنطاكية . وقد أنكر هذا الاتفاق المسلمون أشد الإنكار ، لأنه أخرج بيت القدس من أيديهم ، كما أنكره الصليبيون لأنه حرمهم سبل النجدات الأوربية ، وتركهم فرادى فى بلاد الشام ، يحيط بهم المسلمون إحاطة السوار بالمعصم . وقد برهن الزمن على بعد نظر الملك الكامل إذ حفظ بهذه المعاهدة مصر من الغزو ، وكانت أمل الإسلام والمسلمين فى هذا القرن ، واستطاع الصالح أيوب بن الكامل أن يسترد بيت القدس سنة ١٢٤٤ م وأحرق أحياءها الصليبية .

ثارت أوربا لعودة القدس إلى كنف الإسلام فجاءت حملة صليبية بقيادة « لويس التاسع » ملك فرنسا ، واحتلت دمياط سنة ١٢٤٨ م . فعسكر المصريون فى قلعة المنصورة ، وكان الملك الصالح يقود الجيش محمولا على محفة لمرضه ، واستنجد بالمسلمين فجاءوه من كل مكان ، حتى اكتظت المنصورة بالعسكر ، ورابط الأسطول المصرى فى النيل تجاهها ، ولواؤه معقود « لبيبرس » ثم اشتد المرض على الملك فمات فى نوفبر سنة ١٢٤٩ ، وأخفت زوجته شجرة الدر موته ، وحملته فى تابوت سراً إلى القاهرة فى جنح الظلام ، وإمعاناً منها فى الإخفاء ، كانت تمد سماط السلطان كالعادة ، وتوقع باسم السلطان على ما تصدره من أوامر ، توقيعاً مشابهاً خطه لمهارتها فى الكتابة ، وأخذت البيعة لابنه « توران شاه » على الأمراء والقواد ، وأرسلت تستدعيه من الشام سراً . مع كل هذه التحوطات من شجرة الدر ؛ علم الأفرنج فى دمياط بموت الملك ، فزحفوا إلى الجنوب براً وبحراً ، واستولوا على فارسكور ، ووصلوا المنصورة فى ديسمبر سنة ١٢٤٠ يفصل بينهم وبين المصريين بحر أشموم[١] « البحر الصغير » وبدأت المناوشات

وكان المسلمون ينفردون بمعرفة أسرار النار الإغريقية فأصلوا الفرنج بها براً وبحراً ، ولم يستطع « لويس » بناء جسر على البحر الصغير ، ولكنه وقف من خونة بلدة سلامون « غير المسلمين » على مخائض فى البحر الصغير ، فعبر ته فرقة كبيرة من جيشه إلى بر المنصورة ، وفاجأت المصريين على غير استعداد منهم ولا علم ، فقتل القائد المصرى ووصل « الصليبيون » إلى أبواب « القصر [١] السلطانى » وشجرة الدر تدير المعركة بجأش رابط فأصدرت أمرها لرجال الأسطول ، فأسرعوا بقيادة بيبرس ، وكانوا نحو ألف ، وأطبقوا على الفرنج ومزقوهم شر ممزق ، وقتلوا زهرة شبابهم ، فلم يستطع الإفلات منهم إلا القليل . وكانت واقعة المنصورة هذه فى فبراير سنة ١٢٥٠ ، وبعد عشرة أيام منها وصل توران شاه إلى الصالحية ، فأعلن وفاة الملك الصالح لأول مرة ، وسلمت إليه مقاليد الملك ، بصفة رسمية ، ثم جاء إلى المنصورة وتسلم من شجرة الدر القيادة ومقاليد الأمور . وكان الصليبيون لا يزالون معسكرين بجديلة ، فى العدوة الأخرى من البحر الصغير ، والمؤن تأتيهم من دمياط بطريق النهر ، فصنع المصريون سفناً حملوا أجزاءها على ظهور الجمال ، وأنزلوها فى البحر بعد تركيبها قريباً من دمياط ، لتقطع الطريق على جيش الفرنجة ، فقامت بعملها خير قيام ، واشتد الأمر على الصليبيين وساءت حالتهم ، ودب إليهم الجوع والوهن ، وكانت النيران التى تطلقها عليهم حراقات المسلمين تزيد كربهم . فطلب « لويس التاسع » المفاوضة ، ولكن المصريين لم يقبلوا ، فأخذ ينسحب بجيشه فى جنح الظلام ، ولم يدر أن عيون المصريين منه بالمرصاد ، فطاردوه طيلة ليله ، ولم يسفر الصباح حتى أحاطوا بجيشه براً وبحراً قرب فارسكور ، وهزموه شر هزيمة ، وقتل من جيشه ثلاثون ألفاً غير من غرق منه فى النهر . ولجأ الملك هو وخمسون من خاصته إلى قرية « منية أبى عبد الله » . « ميت الخولى عبد الله » ، وطلب الأمان فمنحه ، واعتقل بالمنصورة فى دار القاضى فخر الدين بن لقمان ، وأرسلت البشائر إلى جميع الأنحاء نذكر منها على سبيل المثال رسالة توران شاه إلى نائبه بدمشق

---

(١) كان هذا البحر يتصل بالنيل شمالى المنصورة بنحو أربعة أميال وهو الذى اعترض الزحف الفرنسى لعدم وجود جسر عليه .

(١) ثبت لدي بالتحرى وأيدنى فى ذلك ابن المنصورة الكريم الأستاذ الجليل « على بك الحاكم » أن ذلك القصر كان يقع فى المكان الذى تقوم فيه الآن « مدرستا المعلمات الأولية والفنون الطرزية » « وورشة مردخ سابقاً » .

« يبشر المسلمين كافة بما منّ الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لا تيأسوا من رحمة الله وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، وخلقاً لا يعلمهم إلا الله .

فلما كانت ليلة الأربعاء ، تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، وقد حل بهم الخزي والويل، فلما أصبحنا قتلنا منهم ثلاثين ألفاً ، غير من ألقى بنفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرَج ، والتجأ الفرنسيس « الملك » إلى المنية وطلب الأمان فأمناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته ، وجلاله وعظمته .

وقد خلد الشاعر ابن مطروح ما حل بهذه الحملة في قصيدته التي منها .

قل للفرنسيس إذا جئته مقال نصح من قئول فصيح
آجرك الله على ما جرى من قتل عباد يسوع المسيح
سبعون ألفاً لا يرى منهم إلا قتيل أو أسير جريح

تخلصت مصر من هذه الحملة .. ولكن مهمتها التاريخية لم تنته بعد ، إذ كان الصليبيون لا يزالون ممتلكين سواحل بلاد الشام ، فأخذ الظاهر بيبرس بعد أن تبوأ عرش مصر ينازلهم ، حتى استولى منهم على « صفد ويافا وأنطاكية » ثم جاء السلطان خليل بن قلاون من بعد ، وحاصر « عكا » وضيق عليها الخناق ففتحها سنة ١٢٩١م ولم ينج من حاميتها أحد ، وأحرق المدينة ، فدب الخور في قلوب الباقين من الصليبيين ببلاد الشام ، ولاذوا بالفرار ، مخلفين وراءهم قلاعهم وحصونهم ، وخلصت مصر المسلمين من شرور الصليبيين الذين دفعهم تعصب الباباوات إلى هذه الحرب الطاحنة التي استمرت قرابة قرنين من الزمان ، وعاد السلطان خليل إلى القاهرة يسوق أسرى الفرنج مكبلين ، وأعلامهم من خلفهم منكسة ، ورءوس قتلاهم على أسنة الحراب (وردَّ الله الذين كفرُوا بغيظهم لم ينالوا خيراً) .

(ب) المغول : في أوائل القرن الثالث عشر خرج « جنكيز خان » من أواسط الصين على رأس جيش من المغول ، وهجم على بلاد الإسلام ، فاستولى على التركستان ، وخراسان ، والهند وخرب مدنها سنة ١٢١٩ ، وعاد إلى بلاده بعد أن ترك البلاد التي فتحها في أواسط آسيا وجنوبها قفراً بلقعاً ، ثم غزا خلفاؤه بلاد فارس والعراق ، ولم تأت سنة ١٢٦٨ حتى كان « هولاكو » عاهل المغول على فارس ، قد استولى على بغداد ، وأزال ملك العباسيين وقتل الخليفة المستعصم وأفراد أسرته وعشرات الألوف من البغداديين ، في مناظر هائلة ، ومشاهد مروعة ، من التدمير والتخريب ، وتابع سيره نحو الشام كالسيل الجارف ، والريح العاصف ، فاستولى عليها في سرعة البرق ، وأرسل إلى مصر رسالة تهددها فيها بالغزو إن لم تخضع وتسلم ؛ وكان على عرش مصر إذ ذاك المملوك « قطز » الذي قابل رسالة هولاكو بما تستحقه فمزقها ، وقتل رسله ، وكان هذا الرجل المجاهد قد أعلن المصريين أنه لم يتبوأ العرش إلا لتخليص البلاد من المغول وأنه سيترك الملك بمجرد الانتصار عليهم ، فسار بجيشه لملاقاة التتار ، وقابلهم على مقربة من بيسان في موقع يسمى « عين جالوت » ولأول مرة ذاق المغول على يد المصريين هزيمة منكرة فروا على أثرها هاربين إلى ما وراء نهر الفرات ، واستطاعت مصر أن تؤدي رسالتها التاريخية في حماية المدنية الإسلامية .

ولما تولى عرش مصر « الظاهر بيبرس » بعد قطز أخذ يعمل على إعادة الخلافة العباسية ، وإرجاع المغول إلى ديارهم .

ولتحقيق الغرض الأول ، استدعى أحد أبناء العباسيين إلى القاهرة ، ونصبه خليفة ، ولقبه « المستنصر بالله » وبقيت هذه الخلافة العباسية في مصر حتى فتحها العثمانيون .

ولتحقيق الغرض الثاني سار على رأس جيش كبير وعبر نهر الفرات على ظهور الخيل ، وأوقع بالمغول هزيمة شنيعة ، وطردهم من تلك الأصقاع .

يئس المغول من التغلب وحدهم على مصر ، فأخذوا يراسلون (بابا) روما ، وملوك أوربا ، لإرسال حملة صليبية ، تشاركهم في محاربة المصريين ، وكان ذلك في أيام السلطان « قلاوون » « ١٢٧٧ — ١٢٧٠ » فسار إلى المغول وهزمهم هزيمة منكرة عند « حمص » لا تقل عن هزيمتهم في « عين جالوت » كما أن السلطان خليل بن قلاوون قد حارب المغول واستولى على كثير من قلاعهم ، وبذلك قضى على الخطر المغولي المهدد لمصر قضاء تاماً .

طاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

(تتمة)

لم يجد غاندى فى مقاطعة الهند للغرب وعدم تعاونها معه ما يستوجب فزع طاغور وخوفه على الوحدة العالمية ، لأن مساوئ الحضارة الغربية وضلالاتها ، واستعمار الغربيين البغيض للشعوب الضعيفة ، واستغلالهم الشره لمواردها الطبيعية ، يزهد الهند من ناحية فى أن تقيم أية علاقة تربطها بهذا الغرب المادى الطاغى ما دام التعاون معه يعرضها لأخطار مدنية لا تعرف إلا صالحها ، ويعطى فرصة للدول الاستعمارية لأن تستغل مواردها المتنوعة من دون الشعب صاحب الحق فى الاستفادة منها ، ويجبرها من ناحية أخرى على أن تعتزل العالم ، وتقطع علاقاتها بتلك الأمم التى تفسد عليها حياتها المادية والمعنوية ، وعلى أن تستغنى عن خدمات الغرب وتعتكف فى نفسها تستجمع قواها وتجدد نشاطها وتبعث مواهبها وتشحذ ملكاتها ، وتنهض بمستوى الشعب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية ، وتخلصه من الجهل والبؤس والخوف ، وتسمو بنزعاته الخلقية ، فيقدر أن يقوم بواجبه نحو الهند والهنود . وحينئذ فقط يطالب من الهند أن تساهم فى تأسيس الدولية العالمية ، وأن تفنى فى العالم ، لأن الشعب المتحد القوى المثقف أقدر على تكوين هذه الوحدة من الشعب المفكك الجائع الجاهل الخائف . ومن صالح الهند والإنسانية جميعاً أن تميش الهند لنفسها أولا ، حتى تتحد وتتقوى مادياً ومعنوياً ، وتتطهر من كل نقص وضعف قبل أن تبذل أى جهد فى خدمة الإنسانية ، أو تسعى لأن تلاشى كيانها فى العالم .

وكان غاندى مخلصاً لمبادئه ، فشجع الهند على أن تعتمد على نفسها فى رقيها ، حتى لا تأخذ من الغرب شيئاً . وعمل على أن يتبع الهنود نفس الأساليب الاقتصادية الهندية القديمة لتدعيم الحياة الهندية المادية ، واهتم بأن يستمينوا بالثقافات الأسيوية التى

(ح) الحشاشون أو الباطنيون : أسس مذهبهم الحسن الصباح فى أوائل القرن الثانى عشر ، وكونوا فرقة إرهابية فى بلاد الإسلام ، لها حصون ومعاقل منيعة ، تمتد من خراسان إلى سواحل بلاد الشام ، وتعيث فى الأرض فساداً ، وكانوا كما يقول أحد المؤرخين « أداة رائعة للغدر كالوباء والحرب ، كارثة على الملوك الضعفاء والشعوب المنحلة » .

وكم سفكوا من دماء بريئة ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، وتآمروا بملوك وسلاطين مع ترويج لعقيدتهم الزائفة التى يقول فيها الإمام الغزالى « مذهب ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم ، فى قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق ، لما يعتريها من الشبهات ، ويتطرق إليه النظار من الخلافات ، وإيجاب طلب الحق بطريق التعليم والتعلم ، وأن كل زمان فلا بد فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستبهم من الدين . والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ، ورفع الحجاب ، واستباحة المحظورات واستحلالها ، وإنكار الشرائع » .

اتخذ هؤلاء الأشرار عاصمتهم (حصن مصياب) فى بلاد الشام بالقرب من طرابلس ، وحاولوا غير مرة قتل صلاح الدين وتحالفوا مع الصليبيين على المسلمين ، وظلوا فى شرورهم المادية والمعنوية ، عوامل هدم للدنيا والدين ، إلى أن سير الظاهر بيبرس حملة إلى بلادهم سنة ١٢٦٩ حاصرت قلاعهم واقتحمتها وفتحت (حصن مصياب) ومزقت الباطنية كل ممزق ، فانهار نفوذهم ، وأصبحوا شراذم لا أهمية لها ، وانتهى على يد المصريين أمرهم ، وطهرت الدنيا من أرجاسهم .

أيها المصرى الكريم ! هذه أعمال بلادك فى قرن واحد ، سحقت جيوش المغول المدمرة ، وحملات الصليبيين الجائرة ، وخزعبلات الباطنية الفاجرة ، منتصرة بذلك على كل ما فى آسيا وأوربا ، من جند وعدة وعتاد ، فهل يخامرك بعد الآن شك فيما ينتظر بلادك من مجد ، وما سيلاقيه الصهيونيون من هول وذل . أرجو أن تكون متفائلا بالمستقبل ، عالما أن مصر كالهرم والمقطم والنيل ، تقوض العروش وتزول الدول ، وهى هى تفنى الفناء وتمى العياء .

عطيه الشيخ

سرت بالهند فى ابتكار حضارة روحية هندية فنية تصون مقومات الهند وتخلو من مفاسد المدنية الغربية . فرد أولا على لوم طاغور فى اتخاذ الهنود المغزل اليدوى وسيلة للتكسب بأن ملايين الهنود يوشكون أن يموتوا جوعاً لأنهم لا يجدون عملا يرتزقون منه . فالفقر هو الذى أرغم الهند على أن تستخدم المغزل العتيق كوسيلة تكفل العيش لشعب فقير . بينما كان ما ينادى به طاغور من ضرورة تمسك الشعب بتعاليم الدين وسعيه فى تحقيق ذاته حتى يتجلى الله فى القلوب ، لا يمكن أن يشبع جائعاً ، وأن الله لن يتجلى لشعب يتضور جوعاً إلا فى صورة العمل والطعام الذى يتقاضاه أجراً عن هذا العمل ، فإن أناشيد طاغور الشاعرية الدينية لا يمكنها أن تسكن آلام الجائعين أو تغنيهم عن عمل يستطيعون به أن يجدوا ما يأكلون .

إن المغزل هو الذى ينقذ الهند من قسوة الفقر وآلام الجوع ويمهد لاستقلال حياة الهند الاقتصادية ، ويغنى الهنود عن خدمات الغرب المادى الجشع ، فعلى طاغور أن يغزل مثله فى هذا مثل أى هندى ، ولا يعارض ، لأن الغزل والنسج فريضة دينية يشرعها الواجب الوطنى على الهنود .

ورد غاندى ثانياً على نعت طاغور الهنود بضيق الأفق وضعف المدارك لتحيزهم السقيم للثقافات الأسيوية بأنه لا يمانع فى معرفة الشعب الهندى لأية ثقافة كانت ، ويود لو تترك دراسة جميع الثقافات حرة فى الهند سواء أكانت أسيوية أم غربية من غير أن تحاول ثقافة من الثقافات أن تفرض سيادتها على الثقافات المحلية ، وتدعى الرقى والرفعة ، وتقضى على كل ثقافة تنافيها ، وتزعم أنها تحاول أن توجد ثقافة موحدة ، وتتحكم فى الحياة الثقافية فى البلاد . فالمستعمر الإنجليزى يلزم الهنود تعلم اللغة الإنجليزية ويتهاون فى تعليمهم لغات البلاد ، ويضع لهم برامج ثقافية جميع موادها العلوم الغربية وتغفل الثقافات الأسيوية وهى أحق بالأولوية من دراسة أى ثقافة غربية ، لأنها تلائم المزاج الهندى ، وتعرف الهنود مواضع القوة فى روحهم ، وتساعدهم على تأسيس ثقافة جديدة حية تعبر بصدق عن التفكير الهندى . فما أمر غاندى بمقاطعة الثقافة الغربية إلا ليعطى فرصة للثقافات الأسيوية لأن تثبت وجودها فى الحياة التعليمية فى الهند ويحمى اللغات القومية والتراث الوطنى من الضياع والنسيان

* * *

لم أقصد من عرض مناقشات طاغور وغاندى حول تآزر الغرب والشرق أو عدمه أن أقف بينهما حكما أفضل عالمية طاغور على وطنية غاندى ، أو أوازن بين واقعية غاندى ومثالية طاغور . وإنما قصدت أن يستفيد العالم العربى ، وهو فى ظروفه الحاضرة الملبدة بغيوم الشك وسحب الارتياب ، من غدر الغرب وسوء نيته ، وأن أرجع الأذهان مجادلة بين شرقيين عريقين فى الروحية أحسا بما نشعر به من انفعالات نحو الغرب ، أحسب أنها تفيدنا فى وضع خططنا العامة الدولية . فطاغور المفكر الإنسانى قد بين للشرق ما يجب أن يصبغه من روحية على ما يأخذه من الغرب من علوم وفنون وجد ونشاط ، وما يجب أن ينبذه من مادية وأنانية وحب للسيطرة وإمعان فى الإباحية واستهتار بالقيم الروحية. فلو سرنا على هديه لأخذنا من الغرب زبده ، وتركنا أوساخه وأقذاره ، ونهجنا السبل القديمة فى تكوين حضارة جديدة طاهرة تؤسس على روحية الشرق ونبوغ الغرب فى العلوم والفنون ومهارته فى العمل .

أما غاندى الزعيم الوطنى ، فقد علم الشرق كيف يحارب أنانية الغرب وغروره بغير عنف أو إيذاء ، ويتخلص من ضلالاته من غير حقد أو بغض ، ويستعين بأبعد الأسلحة عن العنت وإثارة الحقد ، ويتخذ من أقرب القوى إلى الحب والتسامح ذريعة فعالة لنيل المآرب القومية . فلو سرنا على هدى غاندى فى مقاومته السلبية السلمية ، وقاطعنا الدول الغربية ، وحاولنا أن نلم شملنا ، ونقوى من تعاضدنا لأرغمنا الغرب على طلب التعاون معنا ، ولتنازل عن غروره وكبريائه ، وسلم بضرورة رد جميع حقوقنا التى سلبها منا عنوة وغصباً .

فكل من طاغور وغاندى قام بدور هام فى حياة الإنسانية ؛ فقد خدم طاغور الهند والشرق بل والعالم أجمع بسعيه فى ضم أشتات الدول المتخاصمة ، وتأسيس وحدة عالمية لها ثقافة واحدة لا حياة واحدة ، كما خدم غاندى الهند والشرق ، وعلمهما كيف يتسلحان بالطرق الروحية فى مقاومة مادية الغرب ، وجعله يشعر عملياً بأن أنانيته لن تفيده شيئاً ، بل تؤذيه وتضر بمصالحه ،

وأجبره على احترام الشعوب الشرقية واحترام حقها فى المساواة بالشعوب الغربية . وهذه السياسة الغاندية تجمع بين تقوية الهند وردع الغرب ، وتمهد فى نفس الوقت لإقامة وحدة عالمية بطرق عملية . فغاندى لا يختلف عن طاغور فى هـذه الناحية وإن بدا لنا وطنياً . وذلك لأنه آمن بأن إحياء وطنه أمر أساسى لاتحاد العالم ، لأن الوحدة لن توجد لها قائمة ما دام هناك دولة تستعبد دولة أخرى .

يجب أن تتحرر شعوب العالم جميعاً أولا ، ثم نعمل بعدئذ على توحيد العالم .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

أبو خليـــــل القبانى

باعث نهضتنا الفنية

للأستاذ حسنى كنعان

كان ذلك منذ خمس وتسعين حجة على وجه التقريب ، وفى أمسية من أماسى الربيع الضاحك الزاهى جلس « محمد آغا أقبيق » والد النابغ الدمشقى أحمد أبو خليل القبانى فى حقوة داره الكبيرة ذات البحرة الدفاقة المرونة فى حى الشاغور، يستقبل وفود المهنئين من وجوه الحى وأعيان الشام بمناسبة احتفائه بختم ولده القرآن من فاتحته إلى خاتمته .

وكان فى صدر الدار من الوافدين مفتى الديار الشامية الشيخ محمود حمزة وعالمها الأوحد الشيخ بكرى العطار ، وكلهم مغتبط مسرور بحفاوة رب الدار بهم وإكرام وفادتهم . وكان من عادة السامرين فى هذه المجالس أن تكون الأحاديث فيما بينهم جميعها تدور حول امتداح المحتفى به على سبيل المجاملة ، وإدخال السرور على فؤاد والده ، وإيناسه وإثلاج صدره ، فشرع الكل يطرى ذكاء أحمد ويمتدح نشاطه وشدة ميله إلى الدراسة والتعلم . فقال مفتى الشام فيما قال :

إنى لأعجب يا حضرة الأغا المعجب كله لشدة ذكاء ولدك هذا ؛ إنه إلى حداثة سنه وصغر مداركه أراه لا يترك حلقة من حلقات التدريس التى يعقدها علماء الشام فى المسجد الأموى إلا قصدها وكان من روادها . إنه لا يترك المسجد ساعة من نهار إلا فى أويقات الطعام ؛ فرواد الحلقات على كثرتهم وميلهم لطلب العلم لم أر بينهم من يفضله فى ذكائه واجتهاده ونشاطه . إنه لا يحل حبوته أمام شيوخ الحلقات ، فلا يكاد ينتهى شيخ من درس حتى يزحف إلى شيخ غيره ، وهكذا يظل سحابة يومه كالطائر الفرد يتنقل من فنن إلى فنن ، ومن دوحة إلى دوحة ، يجتنى من الأغصان والأدواح الباسقة أطيب الثمار وأشهى الفواكه ، حتى ينصرف شيوخ الحلقات وروادها ويقفر المسجد ، وتتعطل آلة التدريس فيه . ولما سكت المفتى عقب الشيخ العطار على حديثه قائلاً :

أضف إلى هذا أنك تراه فى الحلقات دائماً يكثر من تحريك أصابع يديه ورجليه ويكثر من التنغيم والترنيم همساً فى فمه ، وكثيراً ما يسترسل فى عمله إسترسالا يجلب إليه النظر ، فيبادر من بجانبه من صحبه وهو ساهم غائب عن الدنيا والعالم يفكر فى شىء غير الدرس ، فينبهه ويفهمه أنه فى المسجد وفى الدرس ، لا فى اللهى والمسرح فينتبه فوراً ويصغى .

ولعل لهذا الفتى ميلاً خاصاً لأشياء أخرى غير ميله للدروس العلمية والفقهية ، وإن صدقتنى فراستى فولدك هذا لا بد أن يتردد على مجالس الموسيقى ويعاشر الموسيقيين . فهل يسمع أحداً من أرباب هـذه الصناعة ، أم أن هناك ميولاً فطرية فى طبعه أثرت عليه ، فولدت فيه هذه الناحية ؟

وكان الأب مغتبطاً مسروراً بما يسمعه عن ولده من مدح وثناء ، وقد طال سكوته وإصغاؤه لمثل هذه الأحاديث السارة البهجة دون أن ينبس .

وبعد تفكير عميق قطع حبل صمته قائلاً : ولهـذا أراك تكثر يا أحمد من إرتيادك مقهى المنارة الكبيرة ، فبحق عليك هلا أخبرتنى عمـا تفعله هناك . واستحيى الفتى واصطبغ لون وجهه بالحمرة وكلل العرق جبينه وغدا كأنه صنم من الأصنام لم يحر جواباً ولم يتحرك …

وكان هناك فى الحفلة خال له يعطف عليه ويحبه حباً جما ويعرف روحاته وجياته ، وهو واقف على أسراره الوقوف كله . فالتفت إلى أبيه قائلاً :

أجل إنه يؤم حى العمارة كل ليلة ويسمر هناك فى المقهى الكبير مصغياً إلى أهازيج «الكركوزاتى» على حبيب ، ويشهد محاوراته مع الصور الخيالية المؤلفة من رسوم عنترة وعبلة والمهلهل والزير والزناتى خليفة والملك الظاهر ، وغيرهم من أبطال القصص التاريخية الخيالية الموضوعة لإلهاء الدهماء عن البحث فى أمور لا تعنيهم فى عهد الفاطميين .

وأزيدك يا عم علماً أنه يذهب فى كل أسبوع مرة أو مرتين إلى مكان خصصه ابن السفر جلانى وابن القبرة والأدلبى وغيرهم ممن لهم ميل خاص فى الوسيقى والأهازيج ، ليتمرنوا هناك على الغناء والتمثيل .

ولقد فاجأته أكثر من مرة وهو منفرد فى حجرته يقلد السيد على حبيب فى مخاطبته عبلة بأشعار عنترة ، ويمثل دلال عبلة على ابن عمها عنترة كما يفعل « الكركوزاتى » على حبيب خلف الشاشة البيضاء التى أخفى الصور الخيالية خلفها ونثرها على ضوء المصباح الضئيل ، وأصغيت إلى صوته الشجى عند ما كان ينشد قول الفارس العبسى المدنف فى حبيبة قلبه وفاتنة عقله يخاطبها بقوله :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
يخبرك من شهد الوقيعة أننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ولما شعر بوقع أقدامى صمت بمقدار ما اتضح له أنه واهم ؛ ثم تابع إنشاده بنغمة غير سابقتها واستشرى صوته فى القاعة يدوى ؛ وكان يشير بيديه كالمعتوه الذى خولط فى عقله صائحاً :

وسيبق كان فى الهيجا طبيباً ... يداوى رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحى مع جبان ... لكان بهيبتى يلقى السباعا
أنا العبد الذى خبرت عنه الخ ...

فلم أستطع الصبر على تركه وحده فى القاعة هكذا يخاطب نفسه كالمجانين ، وإنما فتحت عليه الباب الموصد ودخلت فجأة فأسقط فى يده وسكت . فصحت به ما هذا يا ابن أختى؟ ما الذى تفعله ؟ تقلد « الكركوزاتى » ! ! أين « كراريسك » ودفاترك وأين كتبك وعنوانك الدراسية ؟ أهذه هى الدروس التى تعلمتها فى المسجد على مشيخة الشام ونخبة علمائها ؟ تلهو بالقشور وتترك اللباب إنك والله لمن الخاسرين الذين يضيعون مواهبهم وذكاءهم فى أمور مخزية . ماذا يقول الأغا والدك غداً إذا علم بنزعتك هذه ؟ فما كان منه إلا أن جبهنى بقوله : أنا حر فى تصرفاتى ، وليس لأحد على سلطان . فأنا إنما أبنى لأهلى وبنى قوى مجداً مؤثلا فى ارتيادى هذه الناحية . وسترون منى ما يدهشكم من الأعمال الباهرة التى سأقوم بها خدمة للفن أنا وصحبى .

وكان الفتى يصغى مطرقاً إلى حديث الخال المحترم ، وعند ما سمع هذا الحديث عن تلميذه الذى كان مكبراً فيه ذكاءه النادر ومواهبه الفذة ، فلمس فيه هذه الناحية التى تخالف مبدأه الدينى ونزعته الصوفية ، لم يطلب المقام له فى تلك الحفلة النادرة بعد الذى سمعه ، نخف من المجلس على الأثر وهو يتمتم : أعوذ بالله ! تمثيل ... موسيقى ... غناء ، على حبيب ! إن هذا المنكر لا نطيق سماعه ، ولا نطيق السكوت عنه ، أنت يا أحمد مطرود من الدرس منذ الليلة .

قال الشيخ قوله هذا وزحف على قدميه وقد كور جبته وراء ظهره وعقد يديه فوق الجبة واستلم باب الدار دون أن يودع الحاضرين استنكاراً للأمر وتظاهراً بالورع والتقوى ...

فتبعه الشيخ العطار وقفى على أثرهما بقية من فى الدار من الوجوه والأعيان ، وتقوض المجلس وخلا من سماره . وكانت هذه المحنة حافزاً للأب على الإيقاع بولده وغضبه عليه وهجرانه إياه .

بقى الفتى يقاسى فى نزعته الفنية ألم الحرمان والغضب وانقطاع الوشيجة بينه وبين والده وأفراد أسرته مدة حتى توفى الله الوالد وانعتق الفتى من أسر الرقابة وأصبح مالك نفسه وحاكم أمره ، وكان قد بلغ سن الرشد فانقطع لخدمة الفن وتفتحت براعم عبقريته وأمسى يصل ليله بنهاره ونهاره بليله دأباً على التلحين ونظم القصائد والموشحات . وقد ساعده على الإجادة فى النظم ما كان قد أخذه عن شيوخه من قواعد اللغة والنحو والصرف حتى قال فيه أحد شيوخه لو ظل هذا الفتى متابراً على الدرس لتحدثت الشام عن علمه زمناً طويلاً ، كما قال أحد الخلفاء العباسيين فى إسحق الموصلى : لولا نزعته الموسيقى لوليته القضاء .

(للبحث تتمة) حسنى كنعان

في موسم الحج :

أبو نواس يحـــج !

للشيخ محمد رجب البيومى

شغل الحسن بن هانىء أذهان معاصريه ، فقد كانت سيرته ذائعة شائعة يتناولها الظرفاء متندرين معجبين ، ويتناقلها الزهاد لاعنين ناقمين ، وهو لا يفتأ يضرم النار ويشعل الوقود بما ينظم من شعر ماجن يتردد صداه فى كل ناحية ، ويترنم به الحداة فى كل ركب . وكثيراً ما يشفع القول بالعمل فيلجأ إلى الديارات الخليعة ويتصدر الأندية الداعرة ، يعب الخمر وينادم المرد ، ويقود الأسراب الطائرة إلى منابع السكر ، حيث تتجاوب الأوتار ، وتدور الكؤوس ، ويترأس أبليس الحفل ، فيفتح باب الغواية على مصراعيه ، ويوسوس لكل ماجن بما يسيء المروءة ، ويغضب الخلاق الكريم .

وشاعر هذه نشأته وسيرته لا يمكن أن يفكر يوما من الأيام فى الحج ، بل ربما نفر منه ودعا إلى حربه ، حيث لا يعود عليه بفائدة مما يبتغيه . وإذا كان شعراء الغزل فى الدولة الأموية قد وجدوا فى هذا الموسم الحافل معرضاً فسيحاً للجمال الفائق ، نخفوا إلى التمتع ببدائعه الفاتنة ، فإن الحسن لا يجد به مآربه المشتهاة ، فهو يناغى المرد الحسان ويهيم بالخمر المعتقة ؛ أما أسراب الغيد الطائرة حول البيت العتيق فلم تتمكن شبا كها الخاتلة — بعد — من اصطياده ، ففيم السير إلى مكة ؟ وعلام يتحمل الشاعر فى سفره المشاق ؟ بل إنه سئل عن موعد حجه فقال مستهتراً كعادته « إذا نفدت لذات بغداد[1] » وهيهات أن تنضب موارد اللهو فى دار السلام !

ولكن الثابت فى التاريخ — على رغم ما تقدم — أن أبا نواس قد حج البيت المكرم فطاف مع الطائفين ، ولبى مع الملبين ، وقد غمره شعور سماوى هيمن على عواطفه فأنطقه بتسابيح خالدة ، تستمد نغمها الحلو من قيثارة فاتنة ، فكيف تسنى ذلك لأبى نواس؟ وكيف ينبع فى الصحراء الموحشة نهر دفاق ملىء؟ سؤال يتطلب رداً مقنعاً . ولعل الإجابة تظهر فى تاريخ الرجل ، فقد شاء له حظه العاثر أن يهيم بجارية تمقته وتزدريه ، وترسل قذائفها المحرقة فوق رأسه ، وهو سليب العقل ، طائر الفؤاد ، يسير وراءها أنى سارت ، ويبعث خلفها الرسل يستعطفون منها قلباً جامحاً ، لا ينبض برحمة لهالك ، ولا يستشعر حناناً لمدنف . ولقد كان هذا عجيباً منه أى عجيب ، فقد اشتهر طيلة حياته بمجانبة الغيد ، فكيف يتورط إذن فى هذا الحب الجديد ؟

كانت «جنان» جارية عبد الوهاب الثقفى ساحرة فاتنة ، ذات وجه أزهر صبيح ، إذا تأملته تعاظمك الإقرار أنه من البشر — كما يقول الحسن — تجمع إلى دل الحديث وسحر الملامح ذكاء وقاداً ، وفهما عميقاً للشعر الرفيع ، ورواية واسعة للأدب ، وقد خطرت ذات عشية أمام الحسن فأخذت عقله من مكمنه ، ونقشت صورتها فى مهجته ، فترك عصابته الماجنة ، وسار يتعقبها فى كل مكان تحل به ، فإذا كان فى البصرة عرس واجتمعت النساء ، خرج يتلمس صاحبته فى اهتمام بالغ ، فإذا وقعت عينه عليها لم يطق أن يسارقها النظر بعض الوقت ، فيخفض رأسه حزيناً باكياً إلى الأرض ، ويهيم فى آفاق خياله فيعقد موازنة شعرية بين « جنان » وعروس الحفل ، وطبيعى أن يحكم بتفوق صاحبته فى مضمار الحسن والملاحة ، ثم هو لا يكتم ذلك ، بل يعلنه على الناس إذ يقول :

شهدت جلوة العروس جنان   فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأوها   فإليها دون العروس الإشارة

وإذا قام فى البصرة مأتم حزين وهرعت العذارى إليه كعادتهن ترك الشاعر ما يملأ سمعه من النواح والعويل ، وأخذ يتلمس صاحبته فى موقفها الدامع ، ويسبح فى آفاق تفكيره ، فلا يوازن بينها وبين عذراء ممن شاهدهن كما فعل يوم العرس ، بل يجمل الموازنة بينه وبين الميت الفقيد . ولا غرو فقد قتله الحب فهو جدير بأن تبكى عليه صاحبته كما تبكى الآن على الراحل النازح ، ثم هو يبلغها ذلك فى شعر رقيق هادىء . اسمعه إذ يقول .

---

(١) قال أبو نواس :

وقائل هل تريد الحج قلت له   نعم إذا فنيت لذات بغداد

يا قمرا أبرزه مأتم ... يندب شجوا بين أتراب
يبكي فيذري الدر من نرجس ... ويلطم الورد بعناب
لا تبك ميتاً حل في حفرة ... وابك قتيلاً لك بالباب

وكانت «جنان» تعتقد خاطئة أن أبا نواس غير صادق في حبه لأنها تعرف عنه خلاعته وادعاءه ، فكانت تسبه وتؤذيه وتطعنه في رجولته ، وتنال من كرامته كل منال ، ولم تصف له غير حقبة يسيرة مرت في حياة العاشق مرور الطيف ، وتركت وراءها طوفاناً جارفاً من السهد والدمع . وكأن الله عز وجل قد أراد أن يؤدب الحسن بهذا الحب ، فقد خلع كبرياءه وغروره وترك وقاحته وهُجره ، ثم هام كالشدو على وجهه ، فإذا سأل عن جنان قوبل بما يكره من الأنباء الصاعقة ، والأخبار الفاجعة وهو في كل دقيقة يتجلد ويتصبر . وقد يدق شعوره فيتصور سبابها المقذع تكريماً جليلا لشخصه ، لأنها تذكر اسمه لا محالة ، وفي هذا غنم كبير يساق إليه بلا حساب ، اسمعه يقول :

أتاني عنك سبك لي فسبي ... أليس جرى بفيك اسمي ، فحسبي
تشابهت الظنون عليك في ذا ... وعلم الغيب منـه عند ربي

وليت شعري لم يذكر اسم ربه في هذا الموضوع وقد نسيه قبل ذلك ؟ أيكون الحب قد جذبه قليلا إلى روضة الإيمان ، أم أنه الضعف البشري يتسلط على المرء فيلجئه إلى الاستعانة بربه ، وإن تقطعت السبل ، واستبهم الطريق .

ولقد تطايرت الأنباء إلى العاشق المدنف أن «جنان» ستحج مع مولاها إلى مكة وذهب الحسن يتأكد من النبأ ويستوثق من مصادره العليمة ، فعرف أنه حق لا مرية فيه ، ومن ثم فقد أعد العدة ، وأعلن لأصحابه أنه سيخف إلى مكة في قافلة صاحبته . ولم يدهش البصريون لحج الشاعر ، فهم يعلمون أنه يقصد به غير وجه الله . ولقد كان يتتبع صاحبته في كل مكان لا تتركه بالبصرة ، فلا عليه إذا واصل مراقبته الدقيقة في مكة ، مهما كلفه ذلك من صحته وماله . والطريف أنه لا يقبل أن يترك الناس في حيرة من حجه الفاجيء ، بل يكشف اللثام عن باطن سره إذ يقول :

ألم تر أنني أفنيت عمري ... بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً إليها ... يوصلني وأعيتني الأمور
حججت وقلت قد حجت جنان ... فيجمعني وإياها المسير

وأنت لو قارنت بينه وبين ابن برد لأدركت العجب من ثبات بشار وخفة الحسن ، فقد خدع الأعمى قومه حين زعم أنه سيحج تائباً إلى ربه واتجه في أيام الحج إلى «زرارة» وأقام بها مع أحد أصحابه ، ثم رجع مع العائدين من مكة في يوم واحد ، وجلس يتقبل التهاني ، ويقص الأحاديث المسهبة عن زمزم والحطيم ، دون أن يفضح نفسه بكلمة واحدة ، حتى أماط صديقه القناع ، فكشف أمره أمام الناس في أبيات فاضحة (1) ، أما أبو نواس فهو لا يريد أن يلبس على القوم حقيقته ، فيتستر بالورع والنسك ، ويدجل بالطواف والتلبية ، بل يذيع شعره الصريح على الناس في جرأة واستخفاف . ومتى اهتم الحسن بالجمهور ، وقد جانب الحجة ، وخلع العذار ! !

ولقد ظهرت براعته العجيبة في مكة حيث عرف فتاته في لجج طاغية من الزحام الحاشد ، فجعل يتبعها خطوة خطوة ، ويتعقبها في طوافها تعقباً يدعو إلى الغرابة والدهشة . ومن حيله الماكرة أنه التمس تقبيلها للحجر الأسود فقبله معها في وقت واحد ، وطاف بخده على صفحة وجهها الفاتن ، وقد شاهده في هذا الوضع المريب محمد بن عمر الجماز فصاح به : «ويحك ! في هذا الموضع لا يزجرك زاجر ، ولا يمنعك خوف الله ، ولا يردك حياء من الناس؟» فقال له الحسن «يا أحمق ، وهل حسبت قطع المهامه والسباسب إلا للذي حججت له ، وإليه قصدت» ، ثم شاء شيطانه الداعر أن يكشف حيلته للناس ، فقال هذه الأبيات

وعاشقين التف خداهما ... عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما ... كأنما كانا على موعد
لولا دفاع الناس إياهما ... لما استفاقا آخر المسند
ظلنا كلانا ساترا وجهه ... مما يلي جانبه باليد
نفعل بالمسجد ما لم يكن ... يفعله الأبرار بالمسجد

ولقد كانت مشاعر الحسن — وهو الشاعر المطبوع — متيقظة منتبهة في طوافه وتلبيته ، فلم يكد يسمع الترانيم الشجية يصدح بها الملبون طوائف تتلاحق وتتتابع ، حتى حركت أوتار قلبه وأخذ النغم الساحر يسكب في سمعه نشوة راقصة

(1) قال سعد بن القعقاع صاحب بشار في رحلته :

ألم ترني وبشارا حججنا ... وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي سفر بعيد ... فمال بنا الطريق إلى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا ... وأبنا موقرين من الخساره

فنسى جنان بضع لحظات وسحره الجمع الحاشد يصيح ويستصرخ، قلبي مع الملبين تلبية هي في الواقع تغريدة عذبة صدح بهـا فنان موهوب، فهو يقول في رنة حلوة وتوقيع جميل:

إلهنا ما أعــدلك ... مليك كل من ملك
لبيـك قد لبيت لك ... وكل من أهـل لك
لبيك إن الحمد لك ... والملك لا شريك لك

والليل لـما أن حلك ... والسـابحات في الفلك
على مجارى المنسـلك ... ما خاب عبـد أملك
أنت له حيث سـلك ... لولاك يا رب هلك

يا مخطئـاً ما أغفلك ... عجـل وبادر أجلك
واختم بخـــير عملك ... لبيك إن العز لك
والملك لا شريك لك ... والحمـد والنعمة لك

ولله ما أبدع الحسن! فقد كان شاعراً قبل أن يكون عاشقاً؛ فهو يتأثر بالمنظر الرائع فيبرز صورته الجميلة في مرآة شعره، وإن شغله بعض الوقت عن فاتنته، ولا يعقل أن ينقص هذا من حبه في قليل أو كثير، لأن الشاعر حساس مرهف يتأثر بكل ما يرى ويسمع فيتغنى به في سهولة ويسر. ولئن كان المجنون قد طاف مع الطائفين، وشاهد ما شاهده الحسن، فلم يخض كصاحبه فيما خاض فيه الملبون، ومضي يتساءل عن ليلاه ويرسل زفراته الشعرية المحرقة، فلأن قيساً كان عاشقاً قبل أن يكون شاعراً؛ فهو على النقيض من أبي نواس، ولا تثريب عليـه إذا اشتغل بليلى عن كل شاغل، ونسى موسيقى التلبية الفاتنة. وليت شعرى كيف يصيخ إليها تائه مجنون!

وكثيراً ما يقـف الأدباء أمام مقطوعة الحسن في التلبية وما يشاكلها من أشعاره في الزهـد والتوبة حائرين مرتبكين، حيث يستغربون صدور هذه النفثات الصادقة من خليع مستهتر بالشرع الحنيف. ولقد فات هؤلاء جميعاً أن لـكل نفس مهما غرقت في الخلاعة والفسق سبحات خاطفة تصلها بالسماء فتنـدم على ما فرطت في جنب الله، وتتجه إلى الخالق مستغفرة باكية، فلا عجب إذا أدركت الشاعر هذه اللحظات الخاطفة فقال أبياته الزاهدة، ولا سيما والحسن برغم مجونه الزائد متصل السبب بالآثار الدينية والمواعظ الروحية؛ فقد صحب في صباه أئمة الدين، وروى الحديث النبوى، حتى عده الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال من رواته، وإن هجنه ووصمه بما يسقطه ويرديه، كل ذلك يدعوه إلى الندم والحسرة على ما يرتكبه ويأتيه. وأعتقد أن شهرة الشاعر بالخلاعة قد جنت عليه أكبر جناية، فقد طاب له أن يتناقل الناس نوادره وأشعاره وكلها طريف ممتع في بابه — وخيل إليه أنه إذا انقطع عن غيه، سكت الناس عنه فلم يلهج بذكره ذاكر. وصاحبنا — كجميع الشعراء كلف بالشهرة مولع بالظهور، بل إنه صرح بذلك لأبي العتاهية حين لامه في تهتكه. وإذا كان الصيت الذائع في رأيه لا يكون بغير الخلاعة الزائدة، فليتطلبه من طريقها الشائن ... وهذا ما كان!

وكيفما كان الحال، فقد رجع الشاعر من مكة كما ذهب إليها، لم يتقرب إلى الله بتوبة ترفع عنه سيئاته، وحسبه أن وجد في البيت العتيق طريقاً يوصله إلى جنان بدل أن يوصله إلى الله!! وليته ظفر بما يريد، فإن صاحبته ما زالت برغم جنونه بها تمقته وتزدريه، وعذرها في ذلك أنها لم تصدقه فيما يدعيه، ولا جرم فقد جنت عليه شهرته السالفة بالمرد الحسان، فحق لجنان الماكرة أن تعذبه بالحرمان.

وقد يئس الشاعر من صاحبته في النهاية، فأكب على الشراب وحالف السكر محالفة تنسيه شواغل الوجد ولواعج الهيام، ثم ترك البصرة بما فيها من معارف وأصدقاء واتجه إلى مدينة السلام، فرأى البصرة لا تقاس بها في الترف والمجون، فقد حوت من المتع والملاذ ما يستخف الوقور ويصبي الحليم، فغرق في الخلاعة إلى أذنه، ونهز بدلوه مع الغواة، وبلغ ما يبلغ المرء بشـبابه فإذا عصارة كل ذاك آثام!

عفا الله عن الحسن بن هانىء فقد حج إلى البيت العتيق حجاً غـير مبرور، ونظم في الزهد والتوبة مالا يحسب إزاء آثامه ومخازيه، ولـكنه خدع من كتب عنه من المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، فزعم أنه تنسك وزهد، وما كان الشاعر طيلة حياته من الزاهدين، ولـكنه قال قول الزهاد، وفعل أفعال المجان، فكان كصاحبة جميل تذبح العصافير في قسوة، وتدمع عليها في رحمة.

فلا تنظرى يا بثن للدمع وانظرى ... إلى الـكف ماذا بالعصافير تصنع

(الـكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

رحلة في الديار المصرية في القرن الثامن عشر (الميلادي) :

النحـــلة النصرية
في الرحـلة المصرية[1]
لمصطفى البكري الصديق
للأستاذ أحمد سامح الخالدي

لما دخل شهر جمادى الآخرة من سنة (١١٣٢ هـ ١٧١٩م) أراد الشيخ مصطفى البكري زيارة الخليل ومنها إلى القاهرة ، ذات الربوع الزاهرة ، وأقام في الخليل أياماً ، جاءه فيها شيخ موهوب مجذوب يكنى بأبي جاعد ، فسأله الشيخ بالإشارة عن التوجه إلى مصر ، فأومأ بيده نحو السماء ، مشيراً بأن الملم لله . وخرج مسرعاً ثم عاد ، فكرّر الشيخ السؤال فأعاد المجذوب الجواب . وأخبر عن رجل صالح أنه يقول إنه رأى له سيدى اسحق وقال له قل لفلان يرجع إلى وطنه ، فعدل الشيخ عن السفر . ودعاه الأخ الشيخ عبد الرحمن الخطيب بن الشيخ أحمد التيمي إلى كرمه خارج الخليل ، وكان قد اتصل بطريقة الشيخ مثل ذلك ، فأجابه وكان الوقت قيظاً ، فحصل للشيخ من ذلك مشقة .

وعاد الشيخ مصطفى إلى القدس ، وأقام إلى أن مضى شهر الصيام . وفي شوال توالت الأخبار بأن جناب الدستور المكرم والمشير المفخم الحاج رجب باشا تولى الديار المصرية ، ومراده زيارة الأراضي القدسية والخليلية ، ومنها ينزل إلى العريش ، وكان له مع الشيخ صحبة ومودة ، من مدة طويلة . وتحقق حلول ركابه في مدينة نابلس ، فسار الشيخ لاستقباله مع شيخه الشيخ محمد الخليلي ، ودخلا عليه ، وكان الباشا ينزل عند نقيب أشراف نابلس السيد محب الدين ، فدعا الشيخ لصحبته إلى أرض الكنانة ، فأحاله على الشيخ محمد الخليلي فوجه إليه الخطاب فتملل ، ولكن الباشا ألح وأبرم فقبلا الدعوة .

وبعد زيارة الخليل ، والمعاهد والمشاهد فيها ، سارا صحبة الباشا إلى بيت جبريل ؛ ونصب لهما خيمة ، وعين لهما ما يحتاجان إليه من كثير وقليل ، ولم يكن للشيخ في هذا المسير رغبة ، لما فيه من المخاطر ، وما كان قد استعد لمثل هذه السفرة الشاقة ، وودع الذين صحبوه ، وشرع لفوره في كتابة رحلته وسماها [النحلة النصرية في الرحلة المصرية] وسار في الصباح لغزة وقال فيها من قصيدة :

واردُ الشوق غز في القلب غزّة عند ما جئت أبتغي أرض غزة

ثم سار إلى خان يونس ، وبات فيها وقال فيها مواليا :

يافرحتي مذبدا المحبوب لي يونس مسامري بين ندماني لخان يونس
سـألت ما الإسم بدري قال لي يونس
وقلت والأصـل حي قال لي يونس

واستأنس بأصحابه وبكر نحو العريش وقال من قصيدة :

عرش الحب في الحشا تعريشا حين حل المتاع فيه العريشا

وأقام ثاني يوم بانتظار ذخائر القوم ، ثم توجه نحو (بير العبد) ذي الماء الملح ، فلم يطق فيه مقاماً ، وجهد حتى وصل (قطية) ومال لسهلها ونزل عليه ، ورحل إلى (الصالحية) وتلقاه هناك نفر من جند مصر المحمية . وكان رافقه من غزة هاشم الشيخ صالح مفتيها ، فتمرض في الطريق ودفن في الصالحية . ونحا بعد ذلك جهة (القرين) والوزير يرمقه والشيخ محمد الخليلي بمين ، ويتفقد أحوالهما فيزول عنهما الانين .

ونزل بعد ذلك نخيل (بلبيس) وارتحل للخانكه[1] وأتاها ليلاً ، وأمر الوزير بعض من عول عليه من جند مصر ، بانزالهما داخل المدينة في مكان مناسب ، وأرسلهما مع خادمه إلى دار محمد بك المكنى بأبي الشوارب ، وورد عليهما للسلام أعيان البلد ، وهي دار واسعة الأكناف ، ممتدة الجوانب والأطراف ، مقسمة إلى بيوت أربعة ، كل بيت يسع الصنجق[2] والذين معه . ويقول الشيخ في وصف الدار « وكنا في ربعها نتيه ، ونكاد إذا درنا في جنباته أن نتيه » .

(١) مخطوط في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس . ولد مصطفى البكري الصديق سنة (١٠٩٩ هـ وتوفي ١١٦٢ هـ) .

(١) أو الخانقاه ، هو الزاوية أو الرباط . بيت الصوفية

(٢) الصنجق : اللواء والدائرة تحت لواء واحد .

ولما دخل مصر القاهرة ، شهد مدينة بالمباني الفاخرة ، ورأى فيها أشياء كثيرة ، لم يرها في غيرها من المدن الشهيرة ، فتحقق أنها بلدة جمعت محاسن خطيرة ، ولم يقل كما قال البعض أنهـا قرية كبيرة ، بل قال كما قال الإمام الشافعي عنها « كنت أظن أن مصر في الدنيا ، فرأيت الدنيا في مصر » .

وكان الوزير الكبير ، سأل الشيخ قبل دخول مصر ، عن محل نزوله ، فأجابه في محل يكون شيخه الشيخ محمد الخليلي فيه ، فسأله « ولم لا تنزل في بيت البكري الوسيع ؟ » فأجابه « رغبة في صحبة الشيخ الرفيع ، وإن دعانا شيخ السجادة إليه أجبناه » . ويقول الشيخ « وأقمنا في هذا البيت مدة ، وأظهرلنا كبيربيتناصده ، وجملناحرفاً منسياً ، كمن جاء شيئاً فرياً ، فنفرت النفس » . وارتحل إلى دار في الخرنفش صغيرة الدائرة ، تحت تصرف صديقه ابرهيم افندي ، القاضي ، وهي لصقة قاعة التجلي التي للسادة الوفائية ، وكان يتردد عليها ، وربما أقام ليلا ونهاراً لديها . ويقول الشيخ إن هذه القاعة نظير قاعة الجلال التي في بيتهم ، وقد دخلها شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي .

وأول ما ابتدأ به من الزيارات زيارة الحسيبة النسيبة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . قال المناوي في ترجمتها : ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة وتزوجت اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، قدمت مصر ونزلت بهـا ببيت عمتها سكينة المدفونة بقرب دار الخليفة بمصر ، ولها بها الشهرة التامة بالولاية . ماتت بمصر سنة (٢٠٨ هـ) وكانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلي ، ودفنت في قبرها ببيتها بدرب السباع بالمراغة ، محل معروف بينه وبين مشهدها الآن مسافة بعيدة . ثم ظهرت في هذا المكان الذي يزار الآن وكان الشافعي يعتقدها ويزورها . قال الذهبي ، وكان والدها من سراة العلويين ، ولي المدينة للمنصور ثم حبسه حتى مات ، فأخرجه المهدي وأكرمه ولم يزل معه حتى مات المنصور في طريق الحج . ولها كرامات كثيرة . ثم توجه للقرافة ، فزار مقاماتها . ومنها إلى زيارة مقام الإمام محمد بن ادريس (الشـافعي) ولد بغزة أو عسقلان سنة (١٥٠ هـ) وهي السنة التي مات بها أبو حنيفة ، وأجيز بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم رحل إلى الإمام مالك فأقام عنده مدة ، ثم لبغداد ، ولقب بناصر السنة ثم عاد لمكة ، ثم لبغداد ، ثم لمصر ، فأقام بها حتى مات سنة (٢٠٤ هـ) عن أربع وخمسين سنة .

ثم عطف بعد ذلك على زيارة شيخ الإسلام زكريا بن أحمد زين الدين الأنصاري السُّنَيْكي ، (١) ثم القاهري الأزهري ولد سنة (٨٢٦ هـ) وتوفي سنة (٩٢١ هـ) . ثم زار أسلافه الكرام السادة البكرية ، ووقف قبالة القطب الكبير سيدي محمد ، وقرأ له فاتحة الكتاب .

وتقدم بعد ذلك لزيارة عم والده ، جناب العالم أحمد افندي نجل والد جده الشيخ كمال الدين البكري نزيل دمشق الشام والقاطن بها هو ووالده وجده ، وكان وفد الجد المذكور من مصر إليها ، ثم إنه استحسنها وعول في السكنى عليها . وعم والد الشيخ ورد على مصر من الحجاز معزولا عن قضاء مكة ، وتوفي ثاني يوم دخوله وذلك سنة (١١١٨ هـ) .

ثم سار لزيارة أبي الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ابن أبي الشتا الفهمي القرقشندي وهو من تابعي التابعين ، القائل رأيت نيفاً وخمسين رجلا من التابعين . وقال في حقه يحيى بن بكير ، الليث أفقه من مالك . وهو شيخ البخاري ومسلم ؛ ولد سنة أربع وتسعين وتوفي عام خمس وسبعين ومائة . وزار بعد ذلك جملة صالحة من سكان القرافة لا يمكن عدهم ، ولم يزد على التمثيل في العتبات الرفيعة إلا لدى سلطان العشاق سيدي عمر بن الفارض مولده (٥٥٦ هـ أو ٥٦٠ هـ) ووفاته (٦٣٢ هـ) .

ثم قصد زيارة سيدي محمد الحنفي نجل علي شمس الدين الشاذلي [ولد سنة ٧٤٧ هـ — وتوفي سنة (٨٤٧ هـ) . ثم توجه لزيارة السند الجليل سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه ، ولد سنة أربع أو ست أو سبع واستشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين (بكربلا) . واعلم أنهم اختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره إلى الشام أين صار ، وفي أي موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أنه طيف به في البلاد حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه

(١) نسبة إلى قرية من أعمال الشرقية

أميرها بها (١) فلما غلب الأفرنج على عسقلان (٢) افتداه منهم الصالح طلايع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ، ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة ، وإلى ذلك أشـار القاضى الفاضل (٣) فى قصيدة مدح بها الصالح طلايع .

وصار آخرون ومنهم الزبير بن بكار والعلاء الهمدانى إلى أنه حُمل إلى المدينة مع أهله فـكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الأمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلا بعد أربعين يوماً من القتل . ورجح القرطبى ، الثانى قائلا ما ذكر من أن فى عسقلان مشهدا هناك أو بالقاهرة باطل لا أصل له . انتهى . والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى .

ثم زار الشيخ ، علم هذه الديار ، وأحد أركان مصر ، سيدى عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى يتصل نسبه بسيدى محمد بن الحنفية نجل على رابع خلفاء المختار ، ولد تقريباً سنة (٨٩٩ هـ) وتوفى سنة ٩٧٣ هـ وقد ترجمه المناوى وغيره وترجم هو نفسه فى سننه ، وقد طالع الشيخ جملة من مؤلفاته ، وكرر له الزيارة فهو أحد أشياخه

ثم زار سيدى محمد الكردى السكائن بعد باب الفتوح ، ثم مال لزورة الخواص ، وضريحه بزاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح تجاه خوص ، توفى سنة (٩٣٩ هـ) .

ولقد دعاه جناب الشيخ على نجل الحنفى الولى ، إلى مـكان نزيه ذى أبنية وثيقة ، فى مصر العتيقة ، وكان بحر النيل فى ازدياد على المعتاد ، فأركبه والشيخ محمد الخليلى ، قياسة له صغيرة ، وأرسلهما للتفرج على المقياس فـارا ورأيا العمود فيه مغطى بمياه فاقت (على) الأسفنطا ؛ ورأيا المـاء نازلا عما عليه كان ، لأنه فاض من الدرج الخارج وعم ساحة المكان ؛ ثم عادا إلى محل الضيافة ، فإن أمواجه كانت كبيرة ، واختلاف أهويته كثيرة ، وكان كبير ذلك المحفل الجامع والداعى لبيته وضـيافته جناب الشيخ عبد الرؤوف البشبيشى ، وقطعا ذلك النهـار ، والداعى الصفى نجل الحنفى الوفى يلاطفهما .

وبعد أيام دعى الشيخ للاصلاح بين الشيخ محمد شنن والشيخ أحمد (اللقدومى ؟) وأقام معهم فى صفا ووفا ، على بركة الرطلى التى تمتلئ إذا النيل وفا ، وكان يوماً مشهوداً بالأفاضـل المتبرين ممدوداً بمـكارم البكرى السـتى هو وأخوه من بحر الشاذلى ، وكان أخوه قد دعا الشيخ بعد أيام للحضور فى داره ، وقصد بعد أيام لزيارة مقام زين العابدين .

ثم توجه صحبة الشيخ محمد الخليلى إلى جامع سيدى عمرو بن العاص بن وائل السهمى فاتح مصر ، وقد لقب أبوه بالعاصى على أحد الأقوال لأنه كان يتقلد بالعصـا عوضاً عن السيف فسمى بالعاصى . وكانت زيارته وزيارة سـيدى عقبة بن عامر الجهنى تقدمت ، ورأى الشيخ فى الجامع مصحفين ينسبان للامامين سيدى عثمان وسيدى على رضى الله عنهما ، ويقول « إنه بالبعد عن المدينة ، اضمحلت بعض رسومه المتينة » . وصعد المنبر ، فوعظ . وسار بعد ذلك إلى مصر العتيقة وكر ثانياً إلى المقياس . ويقول الشيخ ولو أراد سرد ترجمة من زارهم فى القرافتين وقبور المجـاورين ، لاحتاج إلى وقت طويل . وكان من الذين أخذوا العهد على الشيخ ومن المترددين عليه الشيخ محمد الحفناوى . وممن دعا الشيخ إلى داره الشيخ محمد العنانى ذو النسب العمرى والحسب الشمسى القمرى ، وأغدق عليه المبرات .

ويقول الشيخ « وكنا نستعمل القصب بكثرة غير مختصرة ، حتى اتخذنا له من الخشب صغير معصرة ، ويقال إن الإمام المطلبى صاحب المذهب ، ابن عم النبى كان سبب نزوله القاهرة ، حبه فى القصب السكرى ، وفى ذلك يقول الإمام السـيوطى :

نزلتُ على القصب السكرى   نزول رجال يريدون نهبه
بجز كجز رؤوس العـــدا   ومص كمص شفاه الأحبة

وكان يتردد كثيراً مع الشـيخ الخليلى إلى بولاق لأجل الاطلاق لا من الإملاق ، وكذلك لزيارة الشيخ فرج ، وصعد طبقة فرأى على جدرانها أبياتاً أثبتها منها :

ومن عجب الأيام أنك جالس   على الأرض فى الدنيا وأنت تسير
وسيرك يا هـذا كسير سفينة   بقوم جلوس والقـلاع تطير

وكان الشيخ قد زار فى أوائل قدومه الولى الشيخ محمد الدمرداش ، ودعاه أولاده الشيخ محمد صاحب السجادة والشيخ عثمان ، ودخل خلوة الشيخ .

(البقية فى العدد القادم)   **أحمد سامح الخالدى**

---

(١) بها مشهد عظيم بناه الفاطميين من خلفاء مصر (الأنس الجليل ج ٢ — ٤٢٢) .   (٢) سنة ٥٤٨ هـ .

(٣) وزير السلطان صلاح الدين كان إماماً فى الانشـاء توفى (٥٩٦ هـ) فى القاهرة .



الزهريات الاغريقية

للدكتور أحمد موسى

— ٢ —

كان أول مصنع أقيم لصناعة الزهريات في بلاد الإغريق بمدينة كورينثيا Corinth في القرن السادس ق . م . وانتشرت هذه الصناعة حتى بلغت جنوب ووسط إيطاليا وراجت منهما .

وكانت أول الزهريات الكورنثية صغيرة الحجم رقيقة التكوين ، صنعت من طين ناعم الملمس ، مزودة برسومات بُنّية حمراء رسمت على أرضية صفراء باهتة ، أما نقوشها فكانت عبارة عن خطوط أفقية متجاورة ، التفت حول البدن ، وبين كل مجموعة من هذه الخطوط ، وبين ما علاها تركت مسافة ملئت برسوم للحيوان والإنسان في أوضاع مختلفة ولكنها بسيطة بالقياس إلى ما سيليها .

وتتلخص الصفة الظاهرة لهذا النوع في أنها مشابهة في مجموعها لتلك التي عملت برودس ، من حيث الإخراج واختيار الألوان وأسلوب التصوير ؛ فترى غصن شجرة وقد بدا بالقرب من قاعدة الزهرية متجهاً إلى أعلى ، تفرعت منه أغصان أدق وأرفع ، وزعت في نظام يدل على الخضوع لخطة مرسومة ، بحيث جاءت بينها مسافات أو مساحات استخدمها الفنان لتصوير الإنسان والحيوان كالأسد والثور وأبي الهول ، وما تبقى من المساحات زوده الرسام بزخارف من بينها الورود الصغيرة التي كانت محببة إلى الأغارقة بصفة خاصة .

على أن المستعرض للزهريات الكورنثية بصفة عامة يخرج بنتيجة صريحة هي أنها ذات أحجام صغيرة كما سبق التنويه ، وذات شكل كروي غالباً ، لها غطاء يوضع فوق العنق في بعض الأحيان .

وقد طرأ تغيير ظاهر في صناعتها في أواخر القرن السادس ق . م . فبدت أكبر حجماً وذات مقبضين ويسمونها « أمفورا » Amphora ، وأصبح لون الأرضية أكثر احمراراً نتيجة لزيادة الحريق في الأفران ، ورأى الفنان نفسه مضطراً إلى استخدام نوع داكن من الورنيش يتناسب مع لون الأرضية ، فتكون ألوانه أكثر وضوحاً ، كما أنه استخدم اللون الأبيض والأحمر البنفسجي .

وبدأ الفنان يعنى بتقسيم مساحة الزهرية كلها إلى أقسام معينة ، بعد ما كانت لا تشتمل إلا على فواصل جاءت دون قيد ودون خطة موضوعة . وكان أهم هذه الأقسام مخصصاً لتصوير قصص الأبطال في أغلب الحالات . أما الأقسام الأقل أهمية فكانت مجالا لتصوير الحيوان أو الفرسان على ظهور الجياد أو ما شابه ذلك .



ش ١ — بان أتينا أمفورا



ش ٢ — مصورات باللون الأحمر

ولعل من أحسن الأمثلة على هذا الاتجاه زهرية مشهورة محفوظة بمتحف برلين تبين فرسان «أمفياراوس» Amphiaraos

وإلى جانب المشكاوات الكورنثية وجدت في نفس الرحلة الزمنية مصانع للفخار وعمل الزهريات في إيطاليا ، فظهرت في الأفق مجموعة خالكيس Chalkis Collection التي تتميز بصور الرجال والنساء معاً باللونين الأسود والأبيض ، وكذلك خلوها من الزخارف النباتية التي وجدت بالزهريات الكورنثية .

وشاع ظهور الشكاوات المسماة « أمفورا » ذات المقبضين والتكوين الكروي القائم على قاعدة مستديرة . وقد التف حول وسطها حزام عريض ملىء بصور تمثل سير الأبطال Epos وأحوالهم كعراك هرقليس مع جريونيوس والعراك حول جثة أخيل ، والوداع بين هكتور وبين باريس الخ ، مما لا تتسع له إلا الكتب .

ولم يدم الحال طويلا على هذا المنوال ، فلم يكد يبدأ القرن الخامس قبل الميلاد إلا وكانت أثينا قد بدأت تتغلب شيئاً فشيئاً على المشكاوات التي انتشرت في إيطاليا وانفردت بالرواج طوال القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد .

أنظر إلى المشكاة رقم ١ وهي المسماه « أمفورا » وتأمل بساطة الزخرفة ثم انظر إلى مجموعة الرجال وقد اتجه ثلاثة منهم نحو اليسار واثنان نحو اليمين كأنهم في حديث هام ، والعجيب أن الفنان استطاع التعبير عما يريد في هذه الرقعة الضيقة بكل اتقان ، أما رقم ٣ وهي ما يسمونها « هيدرا » Hydra ذات مقبضين أفقيين اشتملت مصوراتها الألوان الثلاثة : الأسود والأحمر والأبيض وقسمت مساحتها إلى ثلاثة أقسام أفقية أوسطها لرجال ونساء وأعلاها لحيوانات وطيور ، أما الأمفورا رقم ٦ فهي ولا شك أكبر حجماً وأرشق تكويناً — والصور الزخرفية هندسية الطابع أغريقية المزاج ، ولعلك تذكر أن الوحدة الزخرفية الموجودة أسفل الصورة مباشرة هي ما يسمونها مياندر Meander نسبة إلى نهر ذي تعاريج يأتي ذكره فيما بعد .



ش ٣ آنية للتبريد — الأشكال بالون الأحمر — محفوظة بميونيخ



ش ٤ — زهرية أشكالها بالون الأحمر ، وهي تعد من أجل الزهريات الأغريقة — ميونيخ

وقد سارت المشكاوات الأتيكية في أول أمرها متأثرة بنظائرها اليونية ثم بالكورنثية حتى أوائل القرن السادس قبل الميلاد حيث استقلت بنوع من التصوير يسمونه « التصوير الأسود اللون » .

وتمتاز الأتيكية المذكورة بجمال اللون الأحمر ورقته ودفئه وكذلك ببريق الورنيش الذي يراه الشاهد لأول وهلة .

هذا من حيث « الصنعة » أما من حيث الإخراج الفني فقد امتازت المصورات بمتانة الصور ومقدرته على تنفيذ الفكرة بأسلوب يدل على المران والتمكن .

كما أنه تفنن في نوع الزخارف فضلا عن عنايته بضبط خطوطها وانحناءاتها وحسن اقتباسه لوحداتها مع التقليل منها ووضعها في أماكن خصصت لها ، لا تطغى على المصورات ، بل تساعد على توجيه النظر إليها لوجودها في النهايات كأنها إطار يحيط بالمشكاة .

وكان الموضوع المثير لاهتمام الفنان المصور ينحصر في سير الأبطال يستلهم منها مادة فنه ، ويلي ذلك مناظر الحياة الاجتماعية والأحداث اليومية يعيش فيها ويتأثر بها ويسجلها في سجله الخالد على الزمن .

ولعل الاتجاه الذي كانت له قيمته الخاصة ذلك الاتجاه نحو تسجيل المناظر الجنائزية في مجموعة عرفت باسم Prothesisvase شكلها على هيئة « الأمفورا » إلا أنها أكثر منها ارتفاعاً وأكبر حجماً ، وكان الغرض منها تحلية المقابر والجبانات .

والملاحظ أن في هذه المرحلة الزمنية بدأ الفنان يشعر بكيانه وبقيمة عمله فأخذ يسجل اسمه على كل مشكاة بصورها ، فجاءت مجموعة « بان أثينا أمفورا » Panâthenaiamphora ولا تخلو واحدة منها عن اسم المصور ، وهذه المشكاواة كانت تملأ عادة بالزيت لتقدم إلى أوائل المتسابقين اعترافا لهم بالتفوق والتقدير ، في أعياد بان أثينا آلهة المدينة . وبمناسبة كتابة أسماء المصورين أراه لزاما أن أذكر « كليتياس » Klitias مصور زهرية فرنسوا الشهورة ، وأرجو تيموس Ergotimos وسوفيلوس ونيارخوس Sophilos and Nearchos وأولاده الخمسة .

ويتلخص الفارق البارز بين الزهريات « ذات الأجسام الحمر » من « ذات الأجسام السود » في أن الأخيرة رسمت عليها الأجسام

بهذا اللون وأحيطت بلون أرضية الزهرية ، على حين كانت ذات الأجسام الحمر عبارة عن خطوط تحديدية غطى ما يحيط بها باللون الأسود الدخيل على الزهرية .





ش ٥ — الأشكال باللون الأحمر من الطراز الأرخى ، متحف باريس

ش ٦ — قنينة للزيت ، باريس

وببلوغ الصنعة هذه الدرجة من التجديد ، كان فن تصوير المشكاة قد تقدم من حيث الأسلوب ؛ فأصبح التعبير أكثر قوة عن ذى قبل ، كما بدت التفاصيل أكثر دقة وأكمل أداء بالقياس إلى سابقتها التى انفردت باللون الأسود وظلت حافظة على مستوى محدود من الاتقان وقفت عنده .

وبعد ما كانت الأجسام البشرية أشبه شىء بوسيلة من وسائل التعبير عن فكرة معينة ، أصبحت قوية من حيث إنشائها والأسلوب الفنى الذى تم به تصويرها ، فكانت العنصر الهام الواضح الأثر .

وتقدم فن تصوير المشكاة تقدماً مستمراً من ذلك الحين أى منذ حكم بيزستراتس Pisistratus حيث ظهرت الأجسام باللون الأحمر ، حتى منتصف القرن الخامس ق . م . عندما ظهرت أسماء لامعة فى عالم تصوير المشكاوات أمثال أويفورونيوس وزميله إيبكتيت وغيرهما من المحدثين نسبياً أمثال دوريس وبريجوس وهيرون Euphronios , Epiktet , Duris , Brygos and Hieron ، ورسمت بعض المشكاوات مزودة بأسماء وتفسيرات لبعض مناظرها ، كما كتبت بعض المعانى الرمزية للتعبير عن مشاعر خاصة . ومن هذا نرى أن تصوير المشكاة كان فناً له خطره وأثره البالغ ؛ إذ تكونت منها مجموعة هى سجل حافل بما يحيط الاثام عن حياة الأغارقة بين الواقع وبين الخيال .

وبالنظر إلى الزهرية رقم ٢ « أمفورا » نجدها تشتمل على أجسام باللون الأحمر رسمت فى عناية ودقة ملحوظة تمثل مناظر رياضية رائعة ، بدت فيها أجسام اللاعبين رشيقة التكوين .

ولا نستطيع أن نتناول بالوصف كل واحدة منها على حدة ، وإنما الذى نستطيعه هو أن نوجه نظر القارىء إلى ناحية هامة وهى أن الأشكال ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ رسمت كلها على أرضية سوداء أى بتحديدها ثم طلاء الأرضية بهذا اللون وترك الأشكال دون تلوين ؛ فتبدو حمراء بلون الأرضية .

ورقم ٤ تبين إبريقاً ، و٥ هيدريا Hydria و ٧ ليكيثوس Lekythos و ٨ كراتر Krâter و ٩ أريباللوس Arybâllos وكلها تبين مرحلة عظيمة من مراحل تصوير المشكاوات الإغريقية .

بقى بيان عن كلمة ميآندر تعبيراً عن وحدة زخرفية تمثل خطوط متكسرة فى زوايا قوائم يدخل بعضها فى البعض الآخر [الزهرية رقم ٦ أسفل أرجل الحصان مباشرة] سموها كذلك تشبيهاً لها بنهر بهذا الإسم Maandros كثير التعاريج يصب فى بحر أيجة قبالة جزيرة ساموس . أما الزخارف الأخرى فقد اقتبست وحداتها من نباتات وتخيل يسهل فهمهما دون مشقة .

(له بقية) أحمد موسى

ملحوظة : لأسباب فنية تعذر نشر الزهريات المقول عنها ، فنشرنا هذه بدلا منها ، وهى وإن اختلفت فى الموضوع ، فهى لا تختلف فى الجوهر .

بعد خمسة وعشرين عاما:

سيد درويش

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

دارت الكأس، والتقى الندماء ... وأعادت أيامها الصهباء
وصفا مجلس الشراب، وطابت ... وصحا في عبيرها الإغراء
وبدت حولها الزاهر تشدو ... ودعا الشّرب سامر وغناء
واستوى الضاربون فيها أفانـ ... ـين، وباتت على الغدير الظباء

***

الليالي والصفوة الندماء ... وسقاة الملاحن القدماء
يا كرتهم في موسم الفن فانثا ... لوا كما يجمع الفراش الضياء
يا ندامای: هذه حان باخو ... س، وهذی أنغامه العذراء
نبضات الأوتار فيها ترانيـ ... ـل، وهمس الأعواد فيها دعاء
عصر الشعر كرمها من معانيـ ... ـه، ودارت بها النفوس الوضاء
فإذا القوم بعد خمس وعشر ... ين نشاوى — كعهدهم — أنضاء
رقصت في أعصابهم نشوة الفن ... وللفن سورة وانتشاء

***

نغم عاجب، ولحن رَواء ... وهوى ساكب، وطبع رخاء
وتصاوير للوجود كما لو ... شفه الرسم، أو نحاه الطلاء
وتعابير عن معان دقاق ... لم تحوّم في جوها الشعراء
أنكرت عالم الفناء وضجت ... في صداها الحياة والأحياء
صانع الخلد لا يموت وإن مد ... ت عليه سجوفها الغبراء
هو في فنه مقيم كأنه ... زأ بالريح القمة الشماء
شاعر ترجم الأحاسيس الخا ... نا روتها الطبيعة الخرساء
ساخر يضحك اللحون، غضوب
تتلظى أنغامه الحمراء

***

علمته الأنسام كيف البكاء ... وهدير الأمواج كيف الإباء
وعويل الرياح كيف التشكي ... وعبير الورود كيف الغناء
رب لحن كأنه موكب الرعـ ... ـد عتيّا كأنه الكبرياء
ولحون كأنها رقصة النا ... ر تغنيها الزعازع النكباء
ولحون كأنها لحظة الوصـ ... ـل زهتها صلاوة ولقاء
ولحون تصور الناس ألوا ... نا ففيها الطيوف والأصداء
نغمات تردّد البدع فيها ... وسقتها البديهة الوطفاء
غال خلاقها الردى فتبنا ... ها خلود، وذاد عنها وفاء
يخفض الدهر عندها من جنا
حيه، ويردى البلى، ويعيا الفناء
هي كالخمر كلما شيّخ الدهـ ... ـر تناهى بها الصبا والفتاء
ينبض الحب في سناها وندعو ... ك إلى الله روحها الحسناء
ومن الفن ما يملك الحق ... إذا موه الوجود الرياء
ومن الفن ما يبشر بالرحـ ... ـمة دنيا طغا عليها الشقاء
ليس في جوهر الحقيقة إلا الـ ... ـفن شيء ... وغيره أسماء
والذي صور العوالم فنا ... ن تظنّى في فهمه الفهماء

***

والليالي قصائد عصماء ... وأولو الفن وحدهم أنبياء
ربما استغنت الحياة عن العـ ... ـلم على رغم ما أتى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجدا ... دك دهراً وهم به سعداء
إن من أطلقوا المقول علينا ... لست تدرى: أأحسنوا أم أساءوا
والذي ظنها تراباً وماء ... هو في نفسه تراب وماء
شد ما تجنح الحياة إلى الرو ... ح وإن كان في الطريق التواء

طاهر محمد أبو فاشا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

صانع البؤس:

نشر أن لجنة ألفت لإحياء ذكرى عبد الحميد الديب، فقررت جمع ما قيل في حفلة تأبينه وطبعه في كتاب، وطبع ديوانه، وإقامة حفلة للاحتفاء بذكراه. ونشرت بعض الصحف أخيراً كلمات حث فيها أصحابها على الاهتمام بهذه الذكرى. وفي كل ذلك، وفي كل مناسبة يذكر فيها عبد الحميد الديب، يصفه القائلون والكاتبون بالشاعر البائس، وينحون باللائمة على مصر لإهمالها إياه، وذهب بعضهم إلى أنه أهمل حياً وميتاً، وهم لذلك يرمون هذه الأمة بالقسوة والجحود لعدم عرفانها أقدار النابغين من أبنائها!

قيل كل ذلك، وقيل مثله في حفلة التأبين الماضية، وسيدور حوله المحتفون بالذكرى في الحفلة المزمعة... فهل كان عبد الحميد الديب بائساً حقاً؟ أو بتعبير آخر: هل ظلمه المجتمع وحرمه نعمة العيش الرخي؟

إنما يأتي البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق، وقد كان الديب على عكس من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف... إذ كان من العفاة السائلين، وكان ذا حيلة في هذا المضمار تدر عليه الكثير من العطاء، وكان يعاونه على ذلك أصدقاء، منهم من هو معجب بشعره، ومنهم من يتفكه بتصرفاته ومفارقاته، وكان بعض هؤلاء لا يبخلون عليه بما يملكون.

وكثيراً ما هيئت له أسباب العمل، فقد وظف عدة مرات في التدريس بمجالس المديريات، وطالما دعي إلى التحرير بالصحف والمجلات؛ فكان يبدأ العمل وينقطع عنه بعد قليل، وفي بعض الأحيان كان يحتال لأخذ المرتب مقدماً، ثم يذهب ولا يعود!

وكان له زملاء في أول العهد قاسموه التسكع في الحي الحسيني، وكانوا يسمونه «الحي اللاتيني»، ولكنهم أخذوا بأسباب العمل، ومنهم الآن صحفيون ناجحون ذوو دخل كبير. ومما يروى من نوادرهم معه في عهد البؤس أن أحدهم — وهو الآن صحفي معروف يكسب حوالي مائة جنيه في الشهر — نازع الديب عدداً قديماً من جريدة الأهرام، إذ أراد كل منهما أن يهيئ به فراشاً على (الرصيف) في حرم المسجد الحسيني، فاقتسماه، ولكن القسمة لم تحسم الخلاف، فقد تمسك كل منهما بأن يأخذ الجزء الذي فيه «افتتاحية» العدد... وكانت موقعة اسمها «معركة الافتتاحية»، ويظهر أن الذي ظفر بهذا القسم غريم الديب، فقد كان له فألا حسناً، إذ صار بعد ذلك يكتب الافتتاحيات!

وكان الديب يقضي حياته الخاصة في الظلام، يباشر فيها أنواعاً منحرفة من أخس الآدميين، وكان ينفق على هؤلاء ومعهم ما يجمعه من هنا وهناك. فهو يبدأ الجولة بقصد إحدى القهوات الكبيرة، حيث يلقى بعض الأدباء والمياسير ممن يعطفون عليه، فيسمعهم من شعره، وقد يطرفهم بنوادر من شئونه الخاصة معرضاً بحاجته، وقد يتعرض بخرق كبير في (البنطلون) وبروز أصابع القدم من الحذاء، وقد ينشد مدحته لأحد الجالسين؛ ثم يخرج عامر الجيب إلى حيث يفرغه في تلك البيئات المنحطة... ثم تنتهي الدورة بفترة البؤس الذي صنعه بتلك المقدمات!

ولم يكن وفياً المغدقين عليه، بل كان ينثني عليهم بالهجاء، بعد أن قدم المدح على العطاء... ومن غريب أمره أنه كان يهجو على قدر العطية... وكان يعرف ذلك منه المرحوم أنطون الجميل باشا فكان لا يعطيه في المرة إلا (شلناً) ويقول: لا أريد أن أستكثر من الشتم! ولعل هذا هو الذي أوحى إليه نوعاً طفيفاً من المدح: بضعة أبيات لا يغالي بها في مدح الممدوح، وكان يسمي هذه المدائح «الشلنيات» نسبة إلى ما يرجوه من ورائها. وكان يطلق لسانه — حديثاً وشعراً — على كل من يحسن إليه، قيل له: اهج فلاناً. فقال: ولماذا أهجوه وهو لم يحسن إلي ولم يعطني شيئاً؟ ورآه أصحابه مرة مقبلا عليهم في تيه وكبرياء، فقالوا إنه لابد أن يكون في جيبه — على الأقل — عشرة قروش... فلما سألوه في ذلك، قال: أني لي... وهل يترك مني كامل الشناوي شيئاً يا أستاذ!؟ والأستاذ كامل الشناوي معروف بعطفه عليه

واهتمامه بأمره ... وشاهده بعض أصحابه في ثياب رثة ، فقال أحدهم ، وهو الأستاذ محمد مصطفى حمام : يعز علينا أن يكون الديب عاري الخلف ، لا من (بنطلون) بل من (جلباب) ، وتطل أصابع قدميه لا من (جزمة) بل من (بلغة) ، فهلموا نواري سوأته ... وأحضروا له ثياباً نظيفة وحذاء جيداً ، فأخذها وذهب ، وبعد برهة عاد إليهم مزهواً فيها ، ونظر إليهم شزراً ... ثم قال : ألا ترونني وجيهاً يا كلاب ! ولم يكن يليق بهذا السؤال في هذه الحال إلا جواب واحد : بلى يا ذئب !

ولم يشذ الديب عن الجزاء الوفاق بهجاء من يحسن إليه ، إلا مع معالي الأستاذ ابراهيم دسوقي اباظة باشا . قال لي الأستاذ محمد مصطفى حمام : مدح الديب دسوقي باشا بقصيدة جيدة منها :

ولو هيأتمو للديب رزقاً ... لكان بحمدكم صلى وصاما
ومالي لا أرود حمى رحيباً ... تكنف حافظاً ورعى ذماما

وصحبته إلى معاليه ، فأنشده إياها ، فأعطاه خمسة جنيهات (من جنيهات ما قبل الحرب) ، وحقيبة كبيرة ملأى بالملابس ، وأحاله إلى (الترزي) ليصنعها على قده ... فكاد يجن من الفرح وراح يقارن بين حاتم الطائي وبين دسوقي باشا مقارنة انتهى فيها إلى أن الأول أسطورة كاذبة والثاني حقيقة ماثلة . ووالى إنشاء المدائح فيه . ولكن « الذئبية » أدركته مرة ، فقال أبياتاً أولها :

أبلغ أباظة عني أنهم ورثوا ... مالا ولم يرثوا ديناً ولا خلقا

وبلغت الأبيات دسوقي باشا ، فابتسم ، ثم استدعاه ، ونفحه نفحة أخرى ، وقال : إن يكن قد هجانا ، فإني أكافئه على الشعر الجيد . فاستمر يمدحه بعد ذلك حتى كان آخر ما قاله من الشعر في مدحه ، ولم يجازه الجزاء « الوفاق » !

هذه هي الحقيقة في حياة عبد الحميد الديب كما يعرفها خلطاؤه لا كما يحلو لبعض الناس أن يصوروها ؛ فلم يكن البؤس يأتي إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان هو يصنع البؤس صنعاً ، كان يحصل على المال بتلك الوسائل ويبذره تبذيراً في أدنأ الوجوه ، وفي أقذر البيئات ، ثم يجوع ويعرى بصنعه ... وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ليكون بائساً حقيقياً . وكان لا يتحرج من أية وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أية شتيمة ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه . وقد صب جام هجائه على جميع الأدباء بقوله :

يا رجال الشعر والقول الرصين ... لعن الله أباكم أجمعين

أما الناعون على هذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه فليلتمسوا المثال في غير عبد الحميد الديب ، وبعفوا التاريخ من التزوير والتزييف .

وأما الذين يحبون أن يصوروا الأديب أو الفنان إنساناً منحلا منفكا متحللا تائهاً شارداً ... فليعفوا الأدب والفن مما يحبون .

أسبوع شوقي :

اقتربت ذكرى المغفور له أحمد شوقي بك أمير الشعراء ، فقد توفي في الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وفي مثل هذا الوقت من العام الماضي ثارت محاجة حول برنامج حفلة وضع لإحياء ذكرى شاعر مصر الكبير ، لأن البرنامج كان فيه انحراف عما يليق بهذه الذكرى الكريمة ، وكان لنا بلاء في مقاومة هذا الانحراف ، انتهى إلى نتيجة مرضية مؤسفة معاً ، إذ كان القائمون بالمشروع ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فعدلوا عما كان موضع المؤاخذة ، فكان ذلك عملا مرضياً ؛ أما المؤسف فهو أن الحفلة أجلت أشهراً ثم أقيمت متأخرة هزيلة .

ويظهر أن ذكرى شوقي كانت في العام الماضي — على ما كان فيه — أحسن حظاً منها في هذا العام ... فقد كان في الأول كلام (والسلام) ، أما اليوم فلا نسمع لهذه الذكرى أي حديث مع الأسف الشديد !

أقول هذا وبنفسي فكرة أوحت إليّ بها كيفية الاحتفال بذكرى سيد درويش ، فقد رأينا أن الرجل احتفى بذكرى نفسه إذ كان أكثر البرنامج من موسيقاه وأغانيه وأناشيده . فأقترح أن يخصص أسبوع لذكرى شوقي (ولا أقل من أسبوع) تشغل لياليه ، أو أكثرها ، بتمثيل مسرحياته وغناء شعره ، ويسمى هذا الأسبوع « أسبوع شوقي » ، ويمكن تنفيذه في هذا العام وإن كان الوقت ضيقاً ، فمسرحياته لدى الفرقة المصرية للتمثيل ، والممثلون مدربون عليها وحافظون أدوارهم فيها . وهذا ديوان شوقي ، وهذا عبد الوهاب ، وهذه أم كلثوم ، فإن لم يستطيعا

تلحين جديد ، فلديهما ما أخذاه من الديوان من قبل .

ولكن من يقوم بالتنفيذ ؟ تقوم به وزارة الشئون الاجتماعية فهي المشرفة على الفنون والمسارح ، وأذكر لها أعضاء اللجنة التي ألفت في العام الماضي لهذه الذكرى ، ومنهم الدكتور ابراهيم ناجي الذي ثبت في الميدان بعد أن تخلوا عنه وأصر على الاحتفاء بالذكرى ، على قدر ما استطاع ...

ومن تنفق الوزارة على هذا الأسبوع ؟ أظن ذلك لا يعجزها. ولو كان الأمر بيدي لأخذت المبلغ الكبير المخصص لاستيراد الفرق الأجنبية وأنفقته على هذا الأسبوع ويسرت على الناس مشاهدة حفلاته ، ليزيطوا ويذكروا شوقي ..

الشعر المعاصر :

صدر أخيراً كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وقد بين فيه مذاهب النقد الأدبي ومقاييسه والمذاهب الأدبية وعناصر الشعر وما ينتمي إلى ذلك من أبحاث النقد الحديث ؛ وعرض عليها الشعر العربي المعاصر ، مستقصياً بيئاته وألوانه ، مبيناً طرائقه وسماته .

ولا يسع متتبع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت إلى هذا الكتاب ويهتم به ، لأنه كتاب جديد في المكتبة العربية ، فهو أول مؤلف عربي — على ما أعرف — في موضوعه بشقيه : الكلام في النقد الحديث ، وتطبيقه على الشعر المعاصر . ومما يدعو أيضاً إلى الالتفات إليه والاهتمام به ، ظهوره في هذا الوقت الذي كاد ينعدم فيه النقد الأدبي ، فلم نعد نرى إلا هذه المجالات التي تكتب عن الكتب هنا وهناك ، بدافع المجاملات الشخصية ، والتي يكتفي كاتبوها — في أكثرها — بالقاء نظرة عاجلة على الفهرس والمقدمة إن كانت قصيرة ... وما أسوأ حظ النقد في أدبنا الحديث ، فقد انقلب إلى هذه الحال من الضد ، إذ كان فيما مضى شتائم وتجريحات ، فصار الآن مجاملات ومبادلة تحيات ..

وأعود إلى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » فأقول : إنه يبدو فيه ما بذله مؤلفه من جهد شاق مثمر ، ومن مميزاته الاتزان واستقامة النهج ، ولا إخال المؤلف قصد إلى التطفيف والإرجاح(١) في ميزانه ، بما لاحظته في الكتاب منهما ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفي بهذه الإشارة ، لأن المقام لا يسمح بالتفصيل والتمثيل . وحسب الأستاذ السحرتي أنه وضع بكتابه هذا لبنة في بناء الأدب العربي الحديث .

التأليف المسرحي :

اتجهت الرغبة منذ أوائل هذا العام إلى النهوض بالمسرح ، ولما كانت الفرقة المصرية هي الوحيدة التي تواصل العمل المسرحي الراقي في مصر ، فقد كانت هي محور الاهتمام ، فضم إليها بعض الممثلين والممثلات وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبي بك الذي أسندت إليه إدارتها ، مع بقاء الأستاذ زكي طليمات مديراً فنياً لها

وكان أول شيء استدعى الاهتمام في الاستعداد للموسم القادم هو أزمة التأليف المسرحي التي كانت تضطر الفرقة إلى تكرار المسرحيات القديمة . ولمواجهة هذه الأزمة وعلاجها اتخذت الخطوات الآتية :

١ — قررت اللجنة العليا لترقية التمثيل إجراء مسابقة عامة للتأليف المسرحي يدخلها المتسابقون من مصر وسائر الأقطار العربية ، وجعل لها ثلاث جوائز : للمسرحية الأولى ٢٥٠ جنيهاً ، وللثانية مائتان ، وللثالثة مائة وخمسون .

٢ — وقلت للأستاذ زكي طليمات : لوحظ أن المتقدين بأنفسهم لا يدخلون المسابقات ، وأن الإنتاج الذي يقدم فيها ضعيف ، فهل نتوقع مع هذا أن تنتج المسابقة نتاجاً يكفي الفرقة ؟

فقال : هذا صحيح ، ولذلك جعلنا مبلغاً مساوياً لمجموع الجوائز — وهو ستمائة جنيه — لتكليف كبار الكتاب المعروفين بالقدرة على التأليف للمسرح ، ومنهم الأستاذ توفيق الحكيم ، وهو الآن يعمل في مسرحية بناء على طلب الفرقة ، ويوسف بك وهبي يؤلف الآن مسرحية ، والأستاذ محمود تيمور بك ألف مسرحية اسمها « الملك الحائر » ، وهي تتناول شخصية امرئ القيس ، وقد نحا فيها نحو روايته الماضية « حواء الخالدة » .

٣ — هناك مسرحيات كانت قد قبلتها قديماً لجنة القراءة ودفع ثمنها ، وأخرى فازت بجوائز في مسابقة كانت أجرتها وزارة الشئون الاجتماعية ، ولم يمثل من هذه ولا تلك شيء ، فاختار بعضها يوسف وهبي بك لمواجهة أول الموسم ريثما يفرغ المؤلفون من تأليفهم ، ومن هذه الروايات « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ أحمد علي باكثير ، وسيبدأ بها الموسم في منتصف أكتوبر وتجرى الآن تجاربها في مسرح حديقة الأزبكية .

عباس خضر

(١) التطفيف : بخس الوزن ؛ والإرجاح : زيادته .

الكتب

فى قافلة الزمان

تأليف الأستاذ عبد الحميد جوده السحار

لقد عرفنا الأستاذ عبد الحميد جوده السحار فيما أصدر من مؤلفات قاصداً مؤرخاً ، يكتب التاريخ بأسلوب قصصى شيق ويرسم لنا أبطاله رسوماً تنبض بالحياة . وقد أخرج لنا « بلال مؤذن الرسول » و« أبا ذر الغفارى » و « سعد بن أبى وقاص » و « أبناء أبى بكر الصديق » وقال فيها قسطاً مرفوراً من النجاح وعالج الأقصوصة الحديثة فى كتابه « همزات الشياطين » لكن طابع السرعة وعدم الإتقان ، بدا واضحاً فى معظم أقاصيصه . ثم عالج نقد المجتمع والجهاز الحكومى بكتابة صور فكهة تصور معايبه فى الكتاب الذى أصدره بعنوان « فى الوظيفة » فكان أنموذجاً عالياً فى طرافة الأسلوب وروعة التهكم وجمال الأداء .

ولكن الكتاب الذى نتحدث عنه الآن يسلك سبيلا آخر لنقد المجتمع وعاداته هو سبيل الرواية . فكتاب « فى قافلة الزمان » إذن رواية طويلة انتزعت شخصياتها من صميم المجتمع المصرى . ولكى يدرك القارئ ما بذل المؤلف من مجهود فى تصوير عادات عدة أجيال من أمته ينبغى أن يعلم أنه بدأ الرواية فى بداية القرن العشرين وانتهى بها فى أواخر سنيه الحالية . أى أن الرواية سجل لحياة مجتمع فى نصف قرن . ولم يكن هذا السجل لحسن الحظ مشوشاً مرتبكا ناقصى المعلومات ، بل كان مرتباً منظماً يلم بالشاردة والواردة ، قد دونته يد كاتب ماهر رمى إلى تقديمه بين يدى كل من يتوق إلى معرفة مجتمعه فى فترة لم يكتب له فيها الوجود ، وبذلك توفر عليه الاطلاع وإن لم يوفر له الوجود !.

فنجاح المؤلف من هذه الجهة لا ريب فيه . إذ أنه وفق كل التوفيق فى نقل عادات الناس ، ورسمها بدقة وأمانة وإخلاص .

أما هيكل الرواية ففيه طرافة وتجديد . ونستطيع أن نلخصه فى عبارة قصيرة ؛ فنقول إنه عبارة عن تاريخ حياة أسرة وأحفادها . فقد بدأت الرواية فى التحدث عن الحاج أسعد وهو أبو الأسرة الأكبر ومن حوله أبناؤه الأربعة ولكل منهم زوجة وأطفال . ويظل هؤلاء جميعاً سقف واحد فى البيت الكبير الذى يمتلكه الحاج أسعد . ثم تستطرد الرواية فى استعراض حياة هذه الأسرة التى تتفرع وتتشعب وتتشابك شؤونها وتتعقد مشاكلها بازدياد أفرادها واتصال أعمالهم بأعمال الناس ، وبما يواجههم ما يواجه الإنسان فى خضم الحياة من مشاغل تستولى على عمره . فهنا بيع وهناك شراء ، وهنا زواج وهناك طلاق ، وهنا مرض وهناك موت ، وإلى آخر ما يتعلق بالحياة من أمور . وعلى الرغم من أن السيطرة على دقة رواية تعالج نفسيات الناس وعاداتهم وتبسطها على خير الوجوه من الصعوبة بمكان ، فإن الأستاذ السحار أمسك بالدقة شأن الربان الماهر ، وعالج حياة هذه الأسرة وما تفرعت منها من أسر بدقة وإتقان . حتى أن القارئ ليخرج من الرواية وهو على أتم ثقة أن المؤلف لم يفتعل حادثة من الحوادث ليصور إحدى العادات ، وأن الرواية سارت فى مجراها الطبيعى دون أن تتعثر بما فى طريقها من صخور

ومع أن الرواية ليست من ذلك النوع الذى يعنى المؤلف برسم مشكلة لها هى العقدة ؛ تتشابك الحوادث حولها وتتكاثر الشخوص ، ومع أنها أيضاً لا تشتمل على حوادث غريبة مشوقة وإنما هى قطعة من الحياة مليئة بما يقع للمرء وما يشاهده فى مجتمعه من الحوادث والعادات على مدار الأيام فإنها مع ذلك تجرى فى أسلوب لين شيق يأخذ بانتباه القارئ فيستغرق فى تلاوتها بلذة وإعجاب . وهذا ولا شك هو المقصود بنجاح الروائى وبراعته .

بيد أن كثرة شخصيات الرواية لم يفسح للمؤلف مجالا كى رسمها جميعاً بالدقة المطلوبة — كما رسم شخصية مصطفى ونفيسة مثلا — فجاءت صور قسم منها باهتة لا تتسم بميزات وملامح واضحة برغم أهميتها . ومن ذلك القسم جاءت شخصيات سليم وأسعد ومارى . ولعل ذلك يبدو بصورة أوضح لو قارنا — على سبيل المثال — نجاح المؤلف فى تحليل شخصية مصطفى بنجاحه فى تحليل شخصية سليم . مع العلم أن الشخصيتين تتكافآن

فى الأهمية والدور . حقاً إن الفرق يبدو شاسعاً بين النجاحين . والواقع أن براعة المؤلف كما يتضح لى متجهة إلى غرضين يمكن القول أنهما شغلاه نوعاً عن الأغراض الأخرى : الأول والأهم هو تصوير حالة المجتمع المصرى فى نصف القرن الأخير وتسجيل عاداته وتقاليده . وقد سبق لى أن ذكرت أن المؤلف توفق فى هذا كل التوفيق . فاستطاع أن يكوّن صورة فى أذهاننا عن الزواج — مثلا — فى جميع مراحله : كيف تتم الخطبة ، ويعد « الجهاز » ويقـدم « النيشان » ثم تقام الزفة التى يعقبها بناء الخطيب بخطيبته .

ولـكى أكوّن لدى القارئ فكرة عن دقة المؤلف فى تصوير هذه العادات أورد الآن مقطعاً يتعلق بأحد مراحل الزواج الذى يسمى « النيشان » . فقد جاء فى صفحة (٢٠٥) من الـكتاب ما يلى :

[وخرجت أمينة وعصمت وسكينة لشراء « النيشان » وهو هدايا يقـدمها الخطيب لخطيبته قبل الزفاف ، ويتـكون « النيشان » عادة من حذاء فضى ، وقاش من القصب العنابى ، وقفاز أبيض ، ومروحة كبيرة من ريش أبيض فاخر ، وطرحة بيضاء ، وحافظة بيضاء وجورب أبيض من الحرير الغالى ، ويطلق على هذه الأشياء « الطقم الأبيض » ، وهو ما ترتديه العروس ليلة الزفاف . ويحتوى « النيشان » كذلك على شـباشب حمراء وصفراء وخضراء وجوارب ومناديل وروائح وصابون ممـك ، وصندوق تواليت فاخر ، وأقشة متعددة وثياب داخلية]

هـذا عن الزواج ، وما يقال عن الزواج ، يقال عن كيفية علاج الناس للمرض والعقم واستغنائهم عن الأطباء بأولياء الله من أمثال سيدى البيدق ، وأولاد عنان ، وسيدى الشعراوى ، والسيدة نفيسة ، والمندورة . وهم شـأن الأطباء ، لـكل منهم اختصاصه : فسيدى البيدق يشفى من الصداع ويزوره المرضى بعد صلاة العصر ، وأولاد عنان يشفون المرضى الهازيل ، وسيدى الشعراوى يشفى مرضى النفس والحسد ، ولابد من زيارة ضريحة مريده فى اليوم فى الفجر وعند الغروب ، أما السيدة نفيسـة فيزورها مرضى العيون ولم يحدد لزيارتها وقتاً . والمندورة تشفى النساء من العقم .

هـذه العادات ، إلى غيرها من نظم المجتمع وما يتصل به ، حظيت من المؤلف بأكبر قسط من الاهتمام . ولذلك جاءت صادقة دقيقـة تنساب فى سلاسة وبساطة محببة . وبذلك حقق المؤلف هدفه الأول .

أما الهدف الثانى فهو على ما أعتقد دراسة شخصية مصطفى ، التى تمثل شخصية المؤلف . وقد نجح الـكاتب فى هـذا الغرض أيضاً ، حتى أن القارئ يظن أنه عرف مصطفى هذا قبل أن يقرأ عنه فى الروايه ، وهو قد عرفه فى الحق ؛ ولـكنه عرفه فى خضم الحيـاة المليئة بأشخاص من طراز مصطفى . وقد أبدع المؤلف خاصة فى تحليل حب مصطفى وعواطفه ، وعندى أنه إن لم يكن قد بلغ القمة فيه فقد قاربها .

وهناك بعض المؤاخذات على المؤلف أهمهـا كثرة أبطال روايته . صحيح أن مجال الرواية واسع ، وأنها تشمل الحياة بكليتها ، ولـكن هذا لا يعنى أن نعالج نفوس الناس بأجمعهم ، بل علينا أن ننتقى منها ما يمثل منهـا مجموعة بعينها . وحيث أن المؤلف عالج فى روايته أسرة معينة تفرعت منها أسر أخرى ، فإنه تعرض لجميع أفراد هذه الأسر .

ولـكننى لا أتفق معه على طريقته هذه ، وأقل ما يقال عنها أنها توقع القارئ فى الارتباك فلا يستطيع معرفة الشخصيات معرفة دقيقة وهى على تلك الـكثرة . وبالاضافة إلى ما قد ينجم عنها من ارتباك ، فانها دفعت المؤلف إلى تسجيل بعض الحوادث التافهة التى لاتستحق أن يفرد لها مكان فى رواية جيدة كروايته . وأبسط مثال على ذلك شخصيات أصدقاء سليم وأسعد التى لم يكن لها لزوم فى الرواية إطلاقاً ، والتى تشعر القارئ دوماً أنها كل على الرواية ، قد أقحمت فيها إقحاماً ، ومهما حاول القارئ أن يتعرف على لون لها اصطدم بالحقيقة الواضحة وهى أنها عديمة اللون والطعم والرائحة !

وقد كاد المؤلف من الجهة الأخرى أن يشرك عنصر الفساد فى الرواية ، لا لذنب جنته إلا لـكونها قد طالت . والظاهر أن ذلك الطول قد أقلق المؤلف ، لأنه عمـد إلى استغلال قانون السرعة استغلالا مضراً بمصلحة الرواية كل الضرر . ولعـل القارئ يستطيع أن يلاحظ ذلك منذ بداية الصفحة الثلاثمائة .

إذ اتجه المؤلف إلى رواية الحوادث بأسلوب بسيط ساذج لا تميزه إلا السرعة ، وليس له أية علاقة بأسلوب الروائي الفنان ، ثم ما تكاد تأتى النهاية حتى يصطدم القارىء بحقيقة أخرى ، تتمثل ببتر الرواية . صحيح أن نهايتها موفقة ، ولكن القارىء يشعر شعوراً أكيداً أن المؤلف لم يقل كل ما عنده ، وأن عليه الاستمرار فيها لأنها لم تنته بعد .

وفيما عدا ذلك فإن الرواية على نصيب موفور من الروعة فى فنها وأسلوبها وأغراضها .

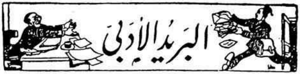
(القاهرة) شاكر خصباك

من نور القرآن الكريم

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب حموده

القرآن ثروة الإنسانية الروحية ؛ وذخيرتها التى تعتز بها فى اجتماعها واقتصادها وسياستها وخلقها ؛ وهو موضع الحفاوة ؛ وهدف الدراسة ؛ ومثار النشاط العقلى بين ذوى القرائح الخلاقة ؛ غير أنه لم ينل فى البيئة الإسلامية كل ما يتطلبه فى هذه المرحلة الفكرية الجديدة ، كتحديد أهداف سوره ؛ والمحور الذى تدور حوله . مما يعين على تمثل أغراضه ؛ والنفاذ إلى مراميه . ولعل أول محاولة رأيناها — النور — فى هذا الميدان هى ما اضطلع بها الأستاذ الجليل فى النهج الذى انتهجه فى تفسير الربع الأول من سورة البقرة وآل عمران والنساء . وهذا النهج يتمثل فى أنه يبتدىء بكلمة عامة عن السورة يقدم فيها بين يدى القارىء — العناصر الأساسية التى يتكون منها هيكل السورة ؛ ويهيىء الجو الذى يظله من السورة بظلاله . وهذه خطوة لها أثرها القيم فى فهم أسرار القرآن واستلهام روحه صافية غير مشوبة ، حتى إذا وصل إلى الربع الذى هو بصدده أخذ يكشف لك عما يتناوله من أغراض . فإذا ما وضع تحت بصرك هذه الأصول فقد اجتاز بك المنطقة الشائكة ؛ ثم يأخذ بعد ذلك يصور لك بأسلوبه الفكرى وبقلمه البيانى ، المعنى العام للربع إذا بك تجدك وقد وصلت إلى أهدافك من أيسر السبل ؛ دون أن يجشمك متاعب السفر ولا وعثاء الطريق ؛ فها هو ذا يستهل بحثه بكلمة عامة عن سورة — البقرة — ويعلل طولها باشتمالها على تشريع الأحكام العملية . وقد بدأها الله ببيان فرق الناس بإزاء الاهتداء بالقرآن ، وبين فيها البر وأحكام القصاص ؛ والوصية . والصيام . والحج . والنفقة . والخمر . والميسر . والزواج والطلاق . والعدة . والإيلاء . والربا . والمداينة ، والتوثيق بالكتابة : والإشهاد ؛ والرهن الخ ، حتى إذا استوفى هذا البيان العام وأعطاك الصورة الإجمالية للسورة ، انتقل بك من العام إلى الخاص ، وقدم إليك صورة صحيحة دقيقة لفهم روح القرآن وبيان أسراره . وعرض تفسير الربع الأول من سورة البقرة أبدع عرض ؛ وعلى هذه السنة استن عمله فى آل عمران والنساء . فيا حبذا لو أخذ علماؤنا بمالجون القرآن تحت هذا الضوء ، ويقدمونه على هذا الأسلوب ، لقربنا إذن الشقة بينه وبين الأذهان التى بعدت بها ظروفها عن الدراسات الدينية ؛ ولظهرت آثاره قوية فى أخلاقهم وأفكارهم وحياتهم . فمتى ننتفع بهذه الثروة التى تكفلت بسعادة العالم . متى !

محمد عبد الحليم أبو زيد



الأديب المدرسي :

قرأت في الرسالة الغراء تلك الكلمة القيمة التي يشكر فيها الأستاذ الزيات للأستاذ توفيق الحكيم ترشيحه إياه لكرسي « شوقي » واعتذاره عن هـذا المركز الذي يحد من سلطانه . ويقلل من نشاطه ... وقد أتاحت لي هـذه الفرصة الطيبة أن أقارن — في ذهني — بين الأديب المدرس، والأديب الحر، وربما بدا لكثيرين أن يقولوا إنه لا معنى لهذه المقابلة، لأن الأديب في الحالين أديب من غير شك، وأدبه مقيداً بأغلال الوظيفة، أدبه طليقاً حراً ... وهو كلام إنما يصح إذا تصورنا أن الأدب ألفاظ وجمل، يتنوق صاحبها في رصفها، ويتأنق في صياغتها ويتمهل في تدبيجها. أما إذا تصورنا أنه إلى جانب ذلك أفكار تتسامى ومعان تحلق وتروع، وأن العبارات إذا لم تكن مع الغرض النبيل، أشبه بالمرأة الحسناء في المنبت السوء ... خصوصاً في عصرنا الذي نعيش فيه، حيث صار الموظف موظف حكومة، لاموظف « مصلحة » أعني أنه يتحتم عليه أن يكون أدبه في حدود اللون الذي تتلون به « الوزارة القائمة » وكم رأينا أدباء قيد « حب العيش » أدبهم بهذا القيد فسقطوا من الأنظار، ولم يكن أدبهم محل اعتبار ... على أن المدرس إذا لم يكن في « الفصل » كالممثل الذي يستجلب رضا الجمهور، ويستدر إعجاب المتفرجين، لاتقوم له قائمة، وفي سبيل ذلك لايبالي بسخط الفن، ولا بإغضاب الحقيقة « المرة » وهذا التهريج إنما يروج بمقدار ثم لا يلبث القوم أن يمجوه تمشياً مع قاعدة البقاء للأصلح «وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» والأستاذ الزيات في الرعيل الأول من شيوخ الأدب، لا لأنه كاتب فحل، أديب ممتاز، ولكن لأنه يستشعر الحرية فيما يملى عليه لسانه، ويهجس به وجدانه، والشباب يحفظ له الآيات البينات في النقد، والتعليق على الحوادث والأخبار ... وافتتاحية في « الرسالة » كفاتحة الكتاب نقرؤها للحفظ والتيمن، وإن كان في ذلك كله مقلا فمعذره أننا في عهد التموين بالبطاقة ولكل شيء غاية، ولكل بداية نهاية .

ابراهيم علي أبو الخشب

« الجوييم » بين الأزهر والرسالة :

نشرت مجلة الأزهر مقالا تحت عنوان (أسباب تأخر المسلمين) بعدد ذي القعدة سنة ١٣٦٧ هـ لفضيلة الأستاذ الشيخ — عبدالحميد عنتر — المدرس بكلية اللغة العربية .

قال صاحب الفضيلة (ولم يحركهم للشر إلا أطماع «الجوييم») يقصد بكلمة « الجوييم » اليهود، وكتب معقباً (الجوييم : اسم رمزي لليهود الصهيونيين الذين يريدون الاستيلاء على العالم كله ويعتبرون كل من سواهم من الناس بهائم . انظر مقالات الأستاذ نقولا الحداد عن اليهود في أعداد الرسالة : مارس وإبريل ومايو سنة ١٩٤٨)

والذي قرأناه في الرسالة وفهمناه من مقالات الأستاذ نقولا وأفدناه من مواثيق الصهيونيين، يخالف لما ارتآه الشيخ، بل الذي بمجلة الرسالة أن اليهود أطلقوا هذه الكلمة على غير اليهود من جميع الأمم

وبعد كتابة ما سلف، قرأت في الرسالة للأستاذ الحداد ص١٠٥٨ عدد ٧٩٠ (لأن وظيفة هؤلاء الحكام « الوطنيين » أن يمسكوا البقرة بقرنيها لكي يحلبها شعب الله المختار «الجوييم») فهـذا الرأي الأخير للأستاذ الحداد فيه تأييد لما ارتآه الشيخ ومخالفة صريحة لمقالاته السابقة ومخطئة لفهمي . فما رأي الأستاذ الكبير « الحداد » بعد هذا ؟ فهل كلمة « الجوييم » تطلق تارة على اليهود، وأخرى على غير اليهود من العالم . أم ماذا ترى ؟

(كيمان المطاعنة) **محمد أمين الشحات**

تحقيق تاريخي :

أتابع ما يكتبه الأستاذ أحمد حافظ عوض بكثير من الاهتمام والحرص، ولقد قرأت المقال النفيس الذي نشره عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في مجلة المصور العدد (١٢٣٢) ص ٢٢ فوجدته يقول فيه « ولقد كان شاعر النيل المرحوم حافظ بك من المقربين إليه، وهو الذي ألحقه بالعمل في دار الكتب المصرية وكان يسر كثيراً من فكاهته » فوقفت طويلا عند هذا الكلام لأن المرحوم الشيخ محمد عبده قد توفي في ٩ يوليه سنة ١٩٠٥ مع أن شاعر النيل قد عين في دار الكتب في ١٤ مارس سنة ١٩١١ بوساطة المغفور له أحمد حشمت باشا ناظر المعارف حينئذ ؛

وعليه يكون الأستاذ الإمام بعيداً عن هذه المسألة كل البعد كما ينطق التاريخ الرسمي .

هذا وقد حفظ الشاعر الكبير لحشمت باشا صنيعه الجميل فأشار إليه في رثائه الحزين حيث قال من قصيدة ممتعة لم تنشر في ديوان حافظ ، وإنما بقيت محفوظة في الجرائد لا يلتفت إليها أحد ، قال :

لك ســـنة قد طوقت عنقي   ما إن أريغ لطوقها نزعا
مات الإمام وكان لي كنفاً   وقضيت أنت وكنت لي درعا
فليشمت الحساد في رجل   أمست مناه وأصبحت صرعى
قد كان في الدنيا أبو حسن   يولي الجميل ويحسن الصنعا
سلني فإني من صنائعه   وسل المعارف كم جنت نفعا
تالله لولا أن يقال أتى   بدعاً لطفت بقبره سبعا
قد ضقت ذرعاً بالحياة ومن   يفقد أحبته يضق ذرعا

رحم الله الإمام والشاعر والوزير وأمدَّ في حياة الكاتب الكبير

(الزقازيق)   ابراهيم عبد المجيد النرزى

تصحيح تصحيح :

جاء في مقال الأستاذ المحقق اللغوي الفاضل أحمد يوسف نجاتي « تصحيح تصحيف وتحرير تحريف » وذلك في العدد (٧٩٣) من الرسالة الغراء ص ٢٠٣٩ قوله « ومن التحريف أو التصحيف أو خطأ الطبع في ذلك الكتاب القيم (ظهر الإسلام) ما في بيتي ابن المعتز صفحة ٢٦ :

أما ترى ملك بني هاشم   عاد عزيزاً بعد ما ذلا
يا طالباً للملك كن مثله   تستوجب الملك وإلا فلا

« ولعل صواب القافية في البيت الأول (بعد ما ذللا) لأن القصيدة من بحر السريع من عروضه الأولى المطوية المكسوفة التي ضربها مثلها على وزن فاعلن ، وعلى ضبط (ذلا) يكون الضرب في البيت وحده أصلم (على وزن فعلن) وهو ضرب آخر لهذه العروض لا يجمع بينهما » .

وأقول : إن ابن المعتز حين قال أبياته ما كان ينظر أو يلتفت إلى « العروض » بقدر التفاته إلى المعنى المراد تأديته على الوجه المطلوب . فهو حين أورد (عزيزاً) في شطره الثاني أعقبه وقابله بضده الذي هو الذل فقال (ذلا) وبه تمام المعنى ، وإن خانه المبنى. وفي المأثور « ارحموا (عزيز) قوم (ذل) » .

ولو افترضنا صحة تصويب الأستاذ (بعد ما ذللا) معنى ، لما كان ثمة موجب للتشبيه بالمثل في البيت الثاني حتى يستوجب الملك طالبه . أو يستأهل الدر حالبه !

وفي موضع آخر يقول ... وفي صفحة ١٨٤ البيت :

أنت إذا جدت ضاحك أبداً   وهو إذ جاد باكي العين

« لعل الصواب (دامع العين) برفع دامع خبر المبتدأ هو » .

وأقول : البيت صحيح بصورته وزناً ومعنى ، وظهور حركة الفتح على الياء من (باكي) لا يفيد الحال وإنما الرفع مكانها على أنها خبر المبتدأ هو ، والاستثناء الشعري يجيز إظهار حركة في غير موضع حركة ، كما يجيز حذف حركة من موضع جوازها ، كقول من قال :

يا باري القوس برياً لست تحسنه
لا تفسدنها (١) وأعط القوس باريها

هذا ، والأستاذ — في البيت السابق — لم يلتفت إلى المقابلة اللطيفة بين (ضاحك وباكي) واستعاض عن البكاء بالدمع ، وإن كان الدمع من دلائل البكاء .

وبعد فالذي رأيناه أثبتناه ، والله الموفق إلى الصواب. والسلام.

(الزيتون)   عمر نائل

(١) وفي رواية (لا تفسد القوس أعط القوس باريها)



التاريخ العالمي

للكاتب الفرنسي أناتول فرانس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الكرداني

عندما خلف الأمير الشاب « سمير » أباه على عرش العجم ، استدعى جل علماء مملكته ، ثم قال لهم في نبرة جادة مؤثرة :

— إن أستاذي — الدكتور سعيد — علمني أن السلطان يتورط في أقل ما يمكن من الخطأ ، إذا ما توخى في تصريف شئونه وإبرام أموره ، أن يستهدي مثل الماضي وأن يستلهم عبر التاريخ ؛ ولهذا ... فإني قد ارتأيت — بعد تدبر — أن أكلفكم بمهمة جليلة الشأن خطير ، هي أن تتوفروا على إعداد دراسة شاملة في تاريخ الشعوب ... وبخاصة روادها وقادتها ... فما قولكم أيها السادة الأماثل في هذا التكليف الخطير ؟ !

فتبادل العلماء النظر ، ثم أنحى واحد منهم إلى الأمير — بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن زملائه — استعدادهم للاضطلاع بهذا العمل الجليل .!

فما إن آبوا إلى دورهم ، حتى شرع كل منهم يكتل جهوده ويشحذ ملكاته توطئة للقيام بإخراج هذا « التاريخ العالمي » الجامع . وبعد عشرين سنة تقضت في كد متلاحق وكفاح موصول ، عاد أعضاء « الأكاديمية » إلى الملك في قافلة تتألف من اثنى عشرة جملاً مثقلة ظهورها بأجزاء هذا السفر العظيم !

وتقدم « سكرتير الأكاديمية » من الملك ، ثم أنشأ يتحدث في هذه الكلمات :

— إن أعضاء « الأكاديمية » الموقرين ، ليشرفهم أن يضعوا عند درجات عرشكم المكين ، هذا المؤلف الفذ ، الذي يضم تاريخ الشعوب والرجال ، والذي لم يكن ليخرج إلى نور الوجود ، لولا التفات جلالتكم إلى ضرورة التأليف في موضوعه ؛ ولقد خرج هذا التاريخ العالمي — يا مولاي — مستتم الحلقات ، مستكمل الفصول ، فليس من المغالاة أن نقول : إنه سفر — في بابه — فريد !

— إنني لعاجز — بحق — عن التنويه بالجهد الذي استنفدتموه ياسادة ! ولكن ... ألا ترون معي أن رعاية شئون حكومتي ، تقتضيني ألا أتشاغل عنها بالانقطاع لاستظهار مثل هذا التاريخ الكبير ؟!

ومن ناحية أخرى ... ألا ترون معي أنني — بعد انسلاخ هذه السنوات الطويلات التي كنتم أثناءها تعملون — قد بلغت « منتصف طريق الحياة » على حد تعبير أحد الشعراء الفارسيين ! وبافتراض أنني كنت من المعمرين ، فإن ذلك لا ينفي استحالة قراءة سفر بالغ الضخامة كهذا السفر الجليل !

ولا أحسبني قد جانبت الصواب ، حين قدرت — للوهلة الأولى التي استعرضت فيها عيناى أجزاء هذا الكتاب — أن مصيره القبوع كالجثة الهامدة في خزانة كتبي !

لهذه الأسباب متآزرة — وددت لو تكرمتم بمحاولة اختصاره ، مستهدفين أن تجعلوه في مقداره في مضاهاة الحياة البشرية القصيرة !

* * *

فاشتغل العلماء — عشرين سنة أخرى — بالتضييق — قدر الطاقة — من مشتملات الكتاب الضخم ... الماثل الحجم ، نزولاً منهم على رغبة الملك ؛ وإذ حققوا ما أراد ، توجهوا إليه — للمرة الثانية — في قافلة صغيرة من ثلاثة جمال ، محملة أسنمتها بألف وخمسمائة جزء من السفر العظيم !

وقال « سكرتير الأكاديمية » :

هذا هو يامولاي عملنا الجديد ، نقدمه بين يديكم الساعة ، ونحن على بينة من أن هذا الاختصار ، لم يمس قط جوهر الكتاب ، ولم يهبط قط بمستواه .

فأجاب الملك :

— هذا بديع ... ولكن ، يؤسفني ، ويحز في نفسي أن أصارحكم القول باستحالة قراءة هذا التاريخ الجامع بالرغم من هذا

الاقتضاب .. ذلك أنني قد هرمت ، وغدا مما يهبط شيخوختي ويوهن من أنسجة بدني ، أن يفرغ ذهني الكليل للجهود الكبيرة ، فعسى ألا أكون قد كلفتكم شططاً لو رجوتكم — للمرة الثانية — أن توجزوا ... وتمعنوا في الإيجاز ، وأن تجملوا بالسكم إلى تركيز المباحث وحذف المقول !

لم يسع هؤلاء الرجال الثابرين إلا الإذعان ، فاشتغلوا — للمرة الثالثة — بإخراج السفر الكبير ، إخراجاً جديداً ، وسلخوا في ذلك عشر سنوات ، هبط بعدها عدد أجزائه إلى الخمسمائة .

وقال « السكرتير مبتهجاً :

— أعتقد يامولاي أننا قد نجحنا — هذه المرة — في مهمتنا

فقال الملك مبتسماً :

— لا يبتعثن في قلبك اليأس أيها السيد اعتقادي عكس ما نظن — إنني اليوم في خريف العمر أيهذا العالم الجليل ، فاذا رغبت إليك — المرة الأخيرة — أن تنصرف وزملائك إلى معاونتي في تحقيق أمنيتي في مراجعة تاريخ عظماء الرجال قبل أن يدهمني الموت ، فعسى أن تنهضوا بتكرار المحاولة غير آسفين ولا قانطين ! وإني لفي الانتظار .!

تجرمت خمس سنوات ، عاد بعدها « سكرتير الأكاديمية » إلى قصر الملك . كان قد هده الكبر وقوست ظهره السنون ؛ وكان — وهو يرقى سلالم القصر — يضم إلى صدره — بذراعين ممروقتين واهنتين — سفراً كبيراً ضخماً !

ولقيه أمين الملك ، فصاح به في نبرة لهيفة ... حزينة :

حث الخطى أيها الشيخ ؛ إن الملك يحتضر ..!

كان الملك يرقد على فراش الموت ، في رعاية أملاكه ، يعالج آخر سكراته ؛ فاستدار في إعياء ، ونظر بعينين خبا فيهما بريق الحياة ... إلى العالم وسفره الضخم ، ثم غمغم في تثاقل وصدره يموج بالتنهدات : هأنذا أموت ، دون أن ألم بتاريخ الرجال !

فسكت العالم برهة ، إجلالاً لرهبة الموت ، ثم رفع رأسه في بطء وعيناه مخضلتان بالدمع ، ليقول للملك المحتضر ... آخر ما صك أذنيه من كلمات :

— أيها الملك لقد ناشدتنا — غير مرة — أن نجمل لك تاريخ الرجال الأبطال الذي قضوا كما تقضي أنت الساعة . ألا فاعلم — أيها الملك العظيم — أن تاريخ هؤلاء الأبطال ليوجزن في هذه الكلمات : لقد ولدوا ، وتألموا ، ثم ماتوا !

عبد العزيز السكرواني